

**النفسية الساخطة
في
روميات أبي فراس
الهمداني
(عرض وتحليل ونقد)**

دكتورة

**حنان أحمد عبد الله فقيه السيد
كلية التربية - جامعة أم القرى**

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف

المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد

فأبو فراس الحمداني شاعر من أفضل شعراء العصر العباسي

. وكان فارساً اشترك في معارك جمة وبخاصة ضد الروم ، فصال

وجال طعناً وضرباً في أعدائه ، وبدأت فروسيته في سن مبكرة لا

تتجاوز تسع عشرة سنة ، وكان ألباً طموحاً حتى أمام أعدائه ، لم

يهن أمام الدمستق الرومي القائد الشهير الذي خاض معه معارك

بلا حدود .

ولم يعن أبو فراس الحمداني بجمع شعره بينما اهتم بإلقائه

أمام أستاذه اللغوي الشهير ابن خالويه ، لذلك لم يظهر رابطة لشعره

سوى ابن خالويه ، وقد نظم أبو فراس في أغراض الشعر المنوعة ،

وإن كانت الروميات تُعد من عيون قصائده .

وروميته تلك القصائد التي نظمها أبو فراس في أسره ببلاد

الروم ولها منزلة خاصة بين أشعاره ، وبوحي من هذه الأهمية رأيت

أن أتخذها محور ارتكاز هذه الدراسة المتواضعة التي أومل لها

التوفيق والسداد .

وقد تناولت البحث على النحو الآتي :

المقدمة : وتناولت فيها : نبذة عن شعر الروميات ، أسباب

اختياري الموضوع ، بواعث النفسية الساخطة ثم عقدت تمهيداً

للتعريف بالشاعر وسيرته . ثم قسمت البحث قسمين :

الأول : يتصل بالدراسة الموضوعية :

درست فيها مظاهر شعر النفسية الساخطة من خلال
الأغراض : الفخر بالذات وبالجماعة ، أصداء الغربة ، العتاب ،
الشكوى .

أما القسم الثاني :

فأفرده لتناول للدراسة الفنية واستظهار أشهر القيم الجمالية
التي حفل بها النسيج الفني للروميات ؛ ومن ثم عرضت للغة
الشاعر ، وخواطره وأفكاره، وصوره ، وإيقاعات شعره ، وما ورد
في روميّاته من منولوجات أو حوارات أو نزعات درامية وما إلى
ذلك مما ستتكفل به هذه الدراسة بإذنه تعالى .

والله من وراء القصد ،،،،،

نبذة عن شعر الروميات

الروميات : هي تلك القصائد التي كتبها الشاعر أو نظمها على أثر وجوده في الأسر .

هذه القصائد منها قصائد طوال ومنها قصائد قصيرة ، وجاءت نفسية الشاعر فيها مأزومة مكدودة عابسة نظراً لما عاناه الشاعر في أسره وما لاقاه من عوامل أثرت في نفسه .

وكان أبو فراس الحمداني فارساً لا يشق له غبار ، خاض الكثير من المعارك وقد انتصر فيها وأثبت قدرة الفارس العربي في المعارك . وكان شهيراً لدى أعدائه بقوة بأسه وشجاعته في الحروب ولما كان لهذا الفارس المقدم من هذه الشهرة فقد أسر ولم يجرد من سلاحه ولا ملابسه فافتخر بذلك .

وقد مرضت أمه في أسره . وجرت أحداث كثيرة كانت في أغلبها مريرة، ومن ثم تأثرت بها نفسه وعبست حياته .

هذه الأحداث وتلك الذكريات التي مرت على حياته . من شأنها أن تؤثر على نفسه . وبالتالي على شعره . والقارئ لهذه الروميات يعرف أنه أمام شخصية متكاملة ، حيث جاءت هذه الروميات معبرة عن حياته الشخصية ، فترى حافلة بأغراض وأفكار شتى من شعره ، وإن كانت في مجملها مطبوعة بميسم الأسى والكآبة .

ففي غرض الفخر بالذات والفخر بالجماعة وفي غيرها نقرأ
الشكوى والعتاب وفي غيرها يكمن فن الوصف وما إلى ذلك .

وهكذا تتنوع أغراض شعره في هذه الروميات لتعبر عن
الأحداث التي مر بها في سجنه .

وقارئ شعر الروميات يلاحظ أنها نظمت على إيقاعات
بحور عدة نظراً لما تتضمنه كل قصيدة منها من عواطف وأحاسيس
شتى في الموسيقى الشعرية .

لماذا الروميات !؟

لكل شاعر من الشعراء جانب شعري تفوق فيه ، وعرف به ، وذلك منذ العصر الجاهلي ، وكان النقاد قديماً يميزون الشعراء في هذا الأمر كما قيل قديماً أفضل الشعراء امرؤ القيس في وصفه (إذا ركب) وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ... إلخ . ومعروف أن الناقد العربي اهتم بكل مقومات القصيدة من حيث الغرض والعواطف ، وحسن السبك ، وتعامل مع هذه الأدوات وغيرها مجتمعة .

انطلاقاً من هذا المفهوم وغيره أبرهن على أسباب اختياري لشعر الروميات عند أبي فراس الحمداني ليكون قيد الدراسة هذه .
أولاً : شعر الروميات أهم ما يميز شعر أبي فراس لأنه صورة ومرآة لحياته ، من خلالها أبان الشاعر عن تأثير الأسر على نفسه ، وكما يقال (رب ضرة نافعة) فإن كان الشاعر أضير بسجنه فإنه أفاد المكتبة العربية بعلومه وفنونه .

ثانياً : شعر الروميات صورة تاريخية لحروب بني حمدان ضد الروم . وظهر من شعر أبي فراس الانتصارات على الروم ، وهذا يوضح قدرة العرب العسكرية آنذاك .

ثالثاً : شعر الروميات أوضح أن العرب أهل أنفه وقوة عسكرية ، فبرغم من أن الخلافة العباسية كانت في بغداد فإن بني حمدان كانوا في حلب ، وكونوا قوة عسكرية رادعة .

رابعاً : شعر الروميات أظهر لنا العقلية العربية بعزة نفسها الأبيية ،

حيث اعترف قادة الروم بأنه لم يؤسر أحد بملابسه وخيله إلا
أبا فراس .

خامساً : شعر الروميات أظهر لنا أن الأمراء كانوا فرسان ، لهم
صولاتهم وجولاتهم في الحروب ، خاضوا بأنفسهم غمار
المعارك .

سادساً : شعر الروميات . أظهر لنا ما تتميز به العقلية العربية
الأصيلة ، فقد تميزت بالروح العالية والنفس الأبية ، ولو
كان ذلك داخل السجون .

سابعاً : شعر الروميات . أظهر قوة شاعرية أبي فراس حتى إن
اللغوي الشهير ابن خالويه ، أهتم بنفسه بجمع ديوانه ،
وعلق عليه ، وهذا يدل على إعجابه بشعر أبي فراس .

ثامناً : شعر الروميات . اشتهر بتنوع الأغراض الشعرية بين الفخر
بالذات والفخر القومي ولعتاب والشكوى وما إلى ذلك .

تاسعاً : شعر الروميات . أبان لنا كيف أن العصر العباسي عدَّ أزهى
عصور العرب الشعرية .

عاشراً : شعر الروميات . كان أنموذجاً لعقلية الأمير فبينما أبو
فراس في سجنه إذ بسيف الدولة يفدي كل الأسرى ويُبقي
على أبي فراس برغم القرابة وبرغم أنه قائده ، وبرغم ... ،
وبرغم ولكن الخوف على السلطة جعل سيف الدولة يتلأأ في
افتداء أبي فراس .

هذا بجانب قوة الشاعرية وقوة السبك والصياغة . ووفرة
الصور الشعرية ، وجمال الإيقاع والنغم ، وحيوية القصيدة التي

وفرها المونولوج والحوار، وسلسلة التدايعات الحرة التي جاءت
للث والشكوى ، ومحاولة التنفيس والتسرية عن النفس من جراء
الغربة ومنغصاتها ، وما إلى ذلك مما يغري بدراسة النفسية الساخطة
في روميات أبي فراس .

بواعث النفسية الساخطة

معنى النفس الساخطة كما ورد في اللسان ^(١) السُّخْطُ والسَّخَطُ : ضد الرضا ، والفعل منه سَخِطَ يسَخِطُ سَخَطًا . وتَسَخَّطَ وسَخِطَ الشيءَ سَخَطًا : كرهه ، وسَخِطَ أي غضب ، فهو ساخط . والسَّخَطُ طبيعة بشرية يتأثر بها كل إنسان ، ولكنها تختلف من إنسان لآخر ، وكثيراً ما يتأثر الإنسان بأمر تعرضه للسخط ، وهذا يعني أن فطرة (السخط) لها تأثير على النفس البشرية نتيجة ما يعكر صفوها .

والشاعر أبو فراس الحمداني كغيره من الناس قد تأثر بما تعرض له فظهر على حياته تلك النفسية الساخطة التي زاد في اشتعال جذوتها ما كان من أسره في بلاد الروم وهو يحاربهم ، وكان من أهم الأسباب التي جعلته حانقاً ساخطاً ما هو موجود في عملية الأسر ؛ حيث تجرد من روح الحرية ، بجانب أنه كان فارساً مغواراً كثير الانتصارات على عدوه الذي بات أسيراً لديه ، وبلا شك أن هؤلاء الأبطال الذين يجولون في المعارك ويأسرون ويقتلون أعداءهم تكون نفوسهم طامحة دائماً لا تعرف الذل لنفسها ، ولا تعرف الانكسار ، ولا تعرف القيود لذاتها ، ولكن كل ما تتذكره أنها تكسر وتأسر وتقيد عدوها .

ولما وقع أسيراً عند أعدائه الرومان ظن أن سيف الدولة الحمداني سيعمل جاهداً على فك أسره وتخليصه من يد عدوه ، لأنه

(١) اللسان مادة "سخط" .

بطل في عدة معارك ، وانتصر على أعدائه في مواقع كثيرة ، وقام سيف الدولة نفسه بافتداء أسراه ولكنه تلكأ عند فداء أبي فراس . هذا الأمر وضع في عقلية سيف الدولة تساؤلات كثيرة وأثر سلباً على نفسيته فجعله مغيباً مخنقاً ساخطاً .

وفي ظل هذه القيود راح يتذكر أمه ، ومدى حزنها عليه ، لبعده عنها ، فهو لا يدري . كيف تعيش تلك الأم الكليمة التي كانت تفخر بوليدها وفارس قومها ، وقد أضحي في قبضة عدوه . فأبو فراس يتذكر كل ذلك وأكثر فتزداد نفسه الساخطة .

وفي ظل الأسر يتذكر الشاعر بطولاته ومفاخره على عدوه ، وقد بات في قبضة عدوه ، ولا يملك الشاعر إلا قلمه فيسجل رده على ادعاء أعدائه بأن العرب لا يملكون إلا الشعر ولا يعرفون شيئاً عن الحروب فيرد عليهم بالقلم . وقد كان يود أن يرد عليهم بالسيف .

فما أسوأ أن يبیت الحر أسيراً وما أسوأ أن يبیت الفدائي بلا سيف ! .

تجمعت الأحزان من كل جانب على هذا الأمير المقاتل ، ولم يجد

أمامه سوى الشعر ليعبر عن مدى حزنه ، وليعبر عن نفسه الساخطة .

تمهيد

أبو فراس الحياة والسيرة

أبو فراس الحياة والسيرة

كنيته :

(أبو فراس . واسم فراس من : فرس الأسد فريسته فرساً صاها وقتلها ، والذبيحة كسر عنقها قبل موتها . وفرس الأمر فراسة أدرك باطنه بالظن الصائب فهو فارس . فرس : فراسة ، وفروسة ، وفروسية . حدق أمر الخيل ، وأحكم ركوبها فهو فارس بالخيل ، وفلان صار ذا رأي وعلم بالأمور ، فهو فارس بالأمر . عالم بصير) (١) .
وفي الاشتقاق :

(اشتقاق فراس من قولهم : فرس السبع فريسته إذا حطمها ، ويقال فرست عنق الشاة ، إذا اعتمدت على الفقرة ففصلتها من الأخرى) (٢) .
واسمه :

أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان ، وكنيته :

(١) المعجم الوسيط ٦٨١/٢ مجمع اللغة العربية مصر دار المعارف ١٤٠٠هـ — / ١٩٨٠ م .

(٢) الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد تحقيق : عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي مصر ص ٥١٤ .

أبو فراس من أسماء الأسد . ينتسب من جهة أبيه إلى العرب ، ومن
جهة أمه إلى الروم ، وهو يشير إلى ذلك بقوله :
إذا خفت من أخوالي الروم خطة تخوفت من أعمامي العرب أربعا
وقيل بل أمه عربية لقوله :

لم تتفرق بنا خوول في العز أخواننا تميم

اتصف جده حمدان بالشجاعة والكرم ، واحتل عمه عبد الله
والد سيف الدولة بلاد الموصل .
ولد أبو فراس سنة (٩٣٣م / ٣٢١هـ) في منبج ، وهي بلدة
سورية (١) .

قال الثعالبي في وصفه :

" كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً
وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن
والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة ، ومعه رواء
الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في
شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة
ونقده الكلام ، وكان الصاحب بن عباد ، يقول : بدئ الشعر بملك وختم
بملك يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبى يشهد له بالتقدم

(١) ديوان أبي فراس الحمداني شرح : الدكتور / خليل الدويهي دار الكتاب العربي
بيروت لبنان ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٦م ص ٨ .

والتبريز ويتحامى جانبه ، فلا ينبري لمباراته ، ولا يجترئ على مجاراته
" (١) .

شعره :

تميز شعره بالسهولة والوضوح ، وفاق الكثير من أتراه ، بل
من شعراء عصره.

تغنى في الغزل أجمل الأغان .

وقد تغنى شاعرنا بأغراض مختلفة ، كالغزل ، فلشعره
الرونق الخاص .. يقول في محبوبته (٢) :

يا ليل ما أغفل عما بي	حبائبي فيك وأحبابي
يا ليل نام الناس عن موضع	نأء على مضجعه نابي
هبت له ريح شامية	مئت إلى القلب بأسباب
أدت رسالات حبيب لنا	فهمتها من بين أصحابي

وقال يفتخر بنفسه (٣) :

جناني ما علمت ، ولي لسان	يفدُّ الدرعَ والإنسانَ عَضْبُ
وزندي وهو زندك ليس يكبو	وناري وهي نارك ليس يخبو
وفرعى فرعك الزاكي المعلى	وأصلي أصلك السامي وحسب

(١) الديوان ص ٣٧٣ .

(٢) السابق ص ٥٧ .

(٣) السابق ص ٤٩ .

وقال كذلك في الرثاء والوصف والحكم .

وشعر الروميات الذي هو محط بحثنا : هو الشعر الذي نظمته أثناء أسره في بلاد الروم ، وتلك القصائد تعد من أجود ألوانه الشعرية ، ذات الحبكة والعواطف الصادقة والخلجات النفسية التي تصدر من نفس أبيه ، تراه حزيناً ومع ذلك الحزن يفخر بما قدم من معارك وانتصارات وعتاب لابن عمه سيف الدولة ، الذي ماطل في افتدائه مع افتدائه لغيره . كذلك ترى الحنين إلى الأم العجوز التي خصّها بروائع شعره ، ومما قاله في رثاء أمه بعد أن غلبت عليها لحسرة فماتت (١) :

أيا أمّ الأسير سقاكِ غيث	بكره فيك ما لقي الأسير
أيا أمّ الأسير سقاكِ غيث	تحير لا يقيم ولا يسير
أيا أمّ الأسير سقاكِ غيث	إلى من بالفدا يأتي البشير ؟
أيا أمّ الأسير لمن تربي	وقدمت الذوائب والشعور

وهكذا تغلب على الشاعر عاطفة التحسر على الأم ، وخاصة

أنه في الأسر ثاو لا يستطيع أن يراها أو يحدثها .

صفات أبي فراس :

(١) السابق ص ١٦١ .

تميزت شخصية أبي فراس بأخلاق الفرسان الأبية ، وقد
اشترك في الكثير من المعارك ، وهو ما زال أقل من التاسعة عشرة ،
ومن هذه الصفات النبيلة إظهار الجلد أمام زوجته وهو في أحلك
الأحوال ، وخاصة الأسر . فنجد (أن الشاعر قد ذكر كل شيء إلا
زوجة أم أولاده الذين شبههم بالفراخ :

وأصبيبة كالفراخ أكبرهم أصغرهم

وأزعم أن هذه المسألة ترتبك بنفسية فرسان العرب لا
بنفسية أبي فراس فقط فهم يخاطبون الزوجات عند النصر لا وقت
الهزيمة ، وهم يباهون بشجاعتهم أما مهن ولا يبكون لهن عند
الهزيمة . فالفراس العربي يظهر أمام أنثاه ، ويظهرها معه عند
النصر ، ويتوارى منها خجلاً إذا هزم ، ولذا توارى أبو فراس ،
ولم يذكرها وهو المهزوم الأسير (^١) .

عصر الشاعر :

عاش أبو فراس الحمداني في ظل دولة الحمدانيين في حلب
السورية ، وذلك إبان العصر العباسي الثاني ، وبرغم ما تمتع به هذا
العصر من وفرة الشعراء والكتاب والمثقفين في المجالات المختلفة
فإنه كان عصر حروب ومناوشات . وهذه الحروب كانت من قبل

(١) شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ د . نصرت عبد الرحمن مكتبة الأقصى

عمان ط ١٣٩٧هـ / ١٩٩٧م ص ٢٨٤ .

الرومان الذين اعتادوا شن غارات على بلاد العرب ، وخاصة بلاد الشام .

ولا تنسى أن العصر العباسي الثاني قد تفككت فيه وحدة الصف العربي، فتكونت عدة دويلات منها الحمدانية في الشام ، والفاطمية في مصر ، والبويهية والغزنوية ، في بلاد فارس أو ما وراء النهر مما عمل على ضعف وحدة المسلمين، وجعل عاصمة الخلافة الإسلامية مطمعا للكثير ، كالأتراك والديلم ، وبات الخليفة العباسي لعبة حقيرة في أيدي وزرائه من المماليك حتى أصبح في نهاية الأمر لا يملك إلا أن يدعى له على المنابر يوم الجمعة .

ومع هذا التفكك الذي كان نقمة على الجوانب السياسية — كما نرى — فإنه كان نعمة على الأدب ، إذ تعددت المقاصد للشعراء ، فتنقلوا من بلاط إلى آخر كالمتنبي الذي عاش مع سيف الدولة ، وتركه وذهب إلى كافور ثم عاد مرة أخرى إلى سيف الدولة . ونلاحظ أن أمثال المتنبي وأبي فراس الحمداني وأبي العلاء المعري وغيرهم ، الذين كانوا في هذا العهد أثروا المكتبة العربية بشعرهم ودواوينهم بجانب المؤلفات في العلوم المختلفة .
أبو فراس أسيراً :

كان أبو فراس قائداً حربياً من طراز فريد ، اشترك في الكثير من المعارك الحربية ضد الروم ، ولعل أهم المعارك التي خاضها أبو فراس كانت معركته مع قسطنطين الدمستق سنة ٣٤٠هـ — / ٩٥١م حينما ندبه سيف الدولة لبناء حصن رعبان بعد أن ضربته الزلازل ، فبنى الحصن في سبعة وثلاثين يوماً ، والتحم مع ملك الروم فهزمه .

ومن الطريف أن أبا فراس قد انتصر على ملك الروم ، ولم يكن القائد العربي قد تجاوز العشرين من عمره ، هذا فضلاً عن معارك أخرى كثيرة خاضها ضد الروم في صحبة سيف الدولة . وكان بعض أهله يكرهون خلاصه من الأسر حقداً عليه فهو الفتى الأول في المعارك ، فكم أرسله سيف الدول – قبل الأسر – إلى قبائل عدة قد شقت عصا الطاعة على سيف الدولة ، كقبائل كعب وغيرها .. فقال يتذكر ذلك في أسره (١) :

إلى الله أشكو عُصبة من عشيرتي يسيئون لي في القول غيباً ومشهداً
وإن حاربوا كنتُ المِجَنَّ أمامهم وإن ضاربوا كنتُ المهتدَّ واليدا
وإن ناب خطب أو أمت مُلَمَّةً جعلت لهم نفسي وما ملكت فِدا

ومع هاتين المعركتين وغيرهما نلاحظ أن البطل أبا فراس كافح مع سيف الدولة وله مواقف خالدة في توطيد بلاط حكمه .
أما قصة أسره :

فقد (كان أبو فراس والياً على منبج عندما أسر سنة ٣٥٢هـ ، وكان خارج المدينة مع نفر من أصحابه ، فالتقى بهم ، ففر أصحاب أبي فراس وصبر هو فقاتل ولم يستسلم إلا بعد أن جرح ، ونقل أبو فراس إلى حصن خرشنة ، وبقي فيه قرابة عامين مُضيقاً عليه بانساً حزيناً يوم لبي ابن عمه سيف الدولة النداء — ابن

(١) الديوان ص ٨٥ .

أعور " الذي كان في أسره ، ويجأ بالشكوى من الحساد ، ويتذكر
ماضيه الحربي ويذكر بني حمدان به .
ونجد هذا الحزن في قصيدته :

— هل تعطفان على العليل —

التي يصف بها حالة تقلبه الأكف ويرقب النجوم من طلوعها
إلى أفولها ويتحسر على أبان نفسه مع الضيفان وبين الفرسان .
ويسأل الله أن يفرج الكرب ويرفع المحنة (١) .

هل تعطفان على العليل ؟ لا بالأسير ، ولا القتييل !
باتت تقلبه الأكف — ف ، سحابة الليل الطويل
يرعى النجوم السائرا ت من الطلوع إلى الأفول
فقد الضيوف مكانه ، وبكاه أبناء السبيل
واستوحشت لفراقه ، يوم الوغى ، سرب الخيول
وتعطت سمر الرما ح ، وأغمدت بيض النصول
يا فارج الكرب العظيم — م وكاشف الخطب الجليل
كن ، يا قوي ، لذا الضعيف — ف ، ويا عزيز ، لذا الذليل !

(١) شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ ص ٢٨٠ .

والمشهور في هذا الأمر أن سيف الدولة تقاعس عن
افتداء أبي فراس رغم ما بينهما من قرابة ، وقد افتدى الكثير ،
وبرغم من أنه كان في الأسر عند أعدائه إلا أنهم أكرموه " وقيل :
إن الروم أكبروا بطولة الشاعر فأكرموه وأنزلوه قصرأ يقوم على
خدمته فيه خادم " .

كما خلوا ثيابه وسلاحه وهو يقول في ذلك :

يمنون أن خلوا ثيابي وإنما عليّ ثياب من دماهم حمـ

ولكن هذه المظاهر لم تستمل روحه المكبلة الحزينة ، فراسل
ابن عمه سيف الدولة سائلاً إياه افتداه (١) .
ويرى البعض :

أنه إذا صح ما نسب إلى سيف الدولة من تقاعس عن افتداء
أبي فراس وتخليصه من الأسر ، فذلك أمر طبيعي عند الحكام عامة
والملوك خاصة ، حين لا يريدون أن يزاحم أولياء عهدهم مزاحم .
وأبو فراس كان جديراً بولاية عهد الأمير ، أو هكذا تسول له
نفسه جديراً شاباً وشهامة ، غيره وقربى من الأمير واشجّة
وشاعرية ، وكرماً وفروسية وولي عهد الدولة أبو المعالي بن سيف

(١) الديوان ص ٩ .

الدولة ينقصه الكثير من الدفاع عن الإمارة ورد أعداء الإسلام عن
الثغور (١) .

وظل في أسره منعماً وكتب في أسره أجمل الأشعار وهو ما
يسمى بشعر الروميات .

(وظل أبو فراس في الأسر حتى افتدي مع غيره من الأسرى
سنة ٣٥٥هـ ، وكانت مقطوعته ولله عندي في الإِسار . آخر ما قاله
فيها :

يقول :

وأوسع أياماً حلت كرامة كأنني من أهلي نقلت إلى أهلي
وهذا البيت يستوقف النظر لما فيه من العرفان للروم حتى
عدهم أهلاً (٢) .

وجاءت قصائده الرومية في أسره في بلاد الروم تعبيراً عن
نفسه العابسة وترجماناً يدور بخلده .
روافد شاعرية أبي فراس الحمداني :

كان أبو فراس ذا موهبة فذة وحس مرهف ، ويمكن إطلاق
لقب (رب السيف والقلم عليه) لقوة شاعريته والحروب التي
خاضها ، وهذه الشاعرية العربية الأصيلة مدتها روافد أصيلة
نستمدّها من شعره وهي :

(١) أبو فراس الحمداني فتوة رومانسية خليل شرف الدين دار الهلال بيروت ص
٢٠ ، ٢١ .

(٢) شعر الصراع مع الروم مرجع سابق ص ٢٨٤ .

أولاً : الفطرة والموهبة الشعرية التي امتلكها الشاعر .
ثانياً : الفترة الزمنية التي عاش فيها ، وكثرة مجيء الشعراء
لبلاط سيف الدولة الحمداني . وكان سيف الدولة يغدق
الكثير من الأموال لهؤلاء الشعراء مما أوجد التنافس .
ثالثاً : كثرة المعارك التي خاضها ، وما صحب ذلك من وقائع
حدثت له ، فكثيراً ما كرّ وفرّ في المعارك ، كل هذا بعث
فيه روح الشاعرية التي من خلالها عبر عنها أصدق تعبير ،
ووصف لمشاهد الحروب الطاحنة بين المسلمين والروم .
رابعاً : مرافقته لابن خالويه العالم الفذ القدير اللغوي العظيم الذي
تتلذذ على يديه وشرب من معينه الصافي ، وتلقى عليه
أدوات اللغة العربية التي من خلالها أبدع في شعره .
والقارئ للديوان يقرأ مدى إعجاب ابن خالويه بشعر
أبي فراس .
خامساً : وقوعه في الأسر وذلك من الأساسيات التي من خلالها نمت
فكره ، ويكفي أن من خلالها ظهرت الروميات التي هي بحق
من عيون شعره ، وظهرت عنده أغراض رقيقة ، كالغزل
وظهرت فنون وأغراض شعرية كثيرة ، منها الرثاء والمدح
والفخر بالذات وغير ذلك .

وفاته :

وأخيراً ألقى شاعر الفروسية والرومانسية بعصاه بعد رحلته مع
المعارك ثم الأسر في بلاد الرومان ، يؤكد ابن خلكان (١) أن
أبا فراس :

(لم يقتل في المعركة بل جرح جرحاً بليغاً مستنداً بذلك على نقله
رواية لابن خالويه ، تقول أن أبا فراس لما حضرته
الوفاة أطلق هذه الأبيات المؤثرة يخاطب ابنته :

أبنيّتي لا تحزني كل الأنام إلى ذهاب
أبنيّتي صبراً جميلاً لآ للجليل من المصاب
نوحى عليّ بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي إذا ناديتني وعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يمتع بالشباب
هذا يؤكد أنه لم يقتل) .

وقيل إنه لم يؤسر أحد وبقيت عليه ثيابه وفرسه وسلاحه
غيره .

وفي السنة السابعة والخمسين وثلاث مئة (مات ناصر
الدولة ، وقتل أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان ، وكان قد طمع

(١) أبو فراس الحمداني فتوة رومانية ص ٢٣ .

(نعم لم يعمر أبو فراس طويلاً بل كان كشهاب خاطف من خلال الزوابع والأعاصير والأسر ، فهو لم يصل الأربعين من عمره ، وإنما كان دونها بثلاث سنين لكنه خلف وراءه تراثاً شعرياً معبراً عن نفسه الأبية ، وعن اعتداده بذاته .

وهو لم يقل بيتاً من الشعر في المدح تكسبا للمال ، والجاه فهو ابن الجاه والمال لديه وفير كالماء) (١) .

وقصته شهيرة مع أبي الطيب المتنبي في حضرة سيف الدولة ومن هذه المواقف قصيدة العتاب لسيف الدولة التي منها :
يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
حيث اعترض أبو فراس على المتنبي في معظم أبيات القصيدة ، وكيف أن منها أبياتاً تُعد من قبيل من السرقات الشعرية لشعراء آخرين . إذ يقول أبو فراس للمتنبي : هذا لك ، وماذا تركت للأمر ؟ وسيف الدولة في حالة صمت يستمع للشاعرين الكبيرين .
من ثم فقد (كان صراعه مع المتنبي صراع وجود شعري لا صراع وجود حياتي كان أبو الطيب قدره الغلاب فأما أبو فراس ليس شاعراً أوحده للأمر الحمداني ، فمعه المتنبي ولا ثالث لهما . لكن هيهات فالكفتان غير متعادلتين ويد الوازن ليست في الوسط تماماً .
ها هو ذا المتنبي يدخل القصر وبشروط تعجيزية مسبقة يرضاهما الأمير ويتعهد بتنفيذها . ها هو ذا يعتبر سيف الدولة خذنه

(١) موسوعة شعر العصر العباسي ٥٧/٢ عيد عون الرمضان دار أسامة الأردن

عمان ١ ط ٢٠٠١ م .

ونده ونظيره ، يخاطبه بضمير المفرد وبأفعال الأمر مثل دع وأجزي
وأزل (١) .

(١) أبو فراس الحمداني فتوة رومانسية مرجع سابق ص ٨٦ .

مظاهر شعر النفسية الساخطة

أولاً : التسامي والاستعلاء .

ثانياً : أصداء الغربة .

ثالثاً : العتاب .

رابعاً : الشكوى

مظاهر شعر النفسية الساخطة

أولاً : التسامي والاستعلاء : ﷺ

تميز الكثير من شعراء هذا العصر بالعزة والاستعلاء ، وأرى أن وراء هذه الصفة روح التسابق بينهم على التقرب لدى الملوك وأصحاب الجاه المحبين للشعر ، وخاصة حينما نعلم أن الشاعر كان يُجزل له العطاء ، فيستعلي على غيره ، وبخاصة على أهل مهنته من الشعراء ، وترى ذلك في معظم شعر المتنبي ، وهو من أشهر معاصري أبي فراس ، فالكثير من قصائده كان يصبغها بصبغة الفخر بالذات ، فترى في شعره لفظ (أنا) ، وكذلك (نحن) بجانب روح الفروسية لدى هؤلاء الشعراء ودائماً يفتخر الفارس بفروسيته وشعره كالمتنبي حينما يقول مثلاً :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلمتي من به صمم

فعلى هذه الوتيرة كان المتنبي يستعلي على غيره من الشعراء ، بجانب ذلك هناك عوامل عديدة للفخر بشقيه الذاتي والجماعي . كإظهار الشجاعة في النزال والفخر بالنسب والفخر بالنفس إلى غير ذلك .

فإذا ما يمنا وجهنا شطر أبي فراس وجدناه يتعالى على غيره ؛ وهناك مبررات لتساميه عليهم ؛ فهو من أسمى القبائل

العربية ، وأحد أمراء بني حمدان ، وقائد من القادة الذين قادوا جيوش بني حمدان في سن مبكرة .

هذه المرتكزات جعلت من أبي فراس شخصية فريدة تميل إلى التعالي والتسامي ودوماً يظهر على مثل هذه الشخصيات روح العزلة والألفة ، كما جسدها هو في كثير من أشعاره التي ستعرض لجانب منها الآن .

أ (الفخر الذاتي :

راح أبو فراس يفتخر بذاته ؛ لأنه من أسرة عربية عريقة حاکمة في بلاد الشام ، وهي أسرة بني حمدان ، وكونه من هذه القبيلة العريقة يبعث في نفسه حب التعالي والفخر بذاته وجذوره ، يقول أبو فراس مفتخراً بنفسه وبشجاعته (١) :

أرى ملء عيني الردى فأخوضه إذ الموت قدامي وخلفي المعائبُ
وإن وراء الحزم فيها ودونها مواقف تُنسى دونهنّ التجاربُ
رجالٌ يذيعون العيوبَ وعندنا أمورٌ لهم مخزونةٌ ومعائبُ
وأعلم قوماً لو تتعتعتُ دونها لأجهضني بالذم منهم عصائبُ
ومضطغن لم يحمل السرَّ قلبه تلقّت ثم اغتابني وهو هائبُ

(١) الديوان ص ٤٠ .

تردَّى رداءَ الذلِّ لما لقيئُهُ كما تتردَّى بالغبارِ العناكبُ

وكثيراً ما خاض المعارك مع أعداء الإمارة ، ولا سيما
الرومان ؛ ومن ثم أرانا صورة العربي الجسور والفراس المغوار
المتسلح بسلاح التسامي والتعالي .

وأبو فراس ذو النفس العالية المتعالية الذي شرب لبنان
المعارك ، لا يتوانى أبداً عن النزال ، فلا يتخاذل عندما تزحف
جيوش الروم العاتية بكل قواتها ، ولا يتقاعس بالحجج الواهية بل
تراه يستعد بكل همة وبسالة لخوض هذه الحروب ، وهذا يرجع إلى
همته العالية التي لا نهاية لها ، ولا شيء بدونها (١) :

ستذكر أياي "تمير" و"عامر" "وكعب" على علاتها وكلابُ

أنا الجار لا زادي بطيء عليهمُ ولا دون مالي للحوادث بابُ

ولا أطلب العوراء منهم أصيبيها ولا عورتي للطالبيين تُصابُ

وأسطو وحبى ثابت في صدورهم وأحلم عن جهّالهم وأهّابُ

بني عمنا ما يصنع السيفُ في الوغى إذا فُلَّ منه مضرب وذبابُ

بني عمنا لا تنكروا الوُدَّ إننا شدادٌ على غير الهوان صلابُ

(١) السابق ص ٤٦ .

ولننظر إلى هذا المشهد الذي يعبر عن هذه النفسية أصدق
تعبير ، فبينما كان أسيراً وجدناه يتعالى فوق الآلام ، ويحلّق في
فضاءات العزة والشموخ والتسامي قائلاً :

متى تُخلفُ الأيامُ مثلي لكم فتى طويلَ نجادِ السيفِ رَحْبَ المقلِّدِ

متى تلدُ الأيامُ مثلي لكم فتى شديداً على البأساءِ غيرَ مُلهَّدِ

فإن تفتدوني تفتدوا أشرفَ العُلا وأسرعَ عوَادِ إليها معوَدِ

وإن تفتدوني تفتدوا لعلاكمُ فتىً غيرَ مردودِ اللسانِ أو اليدِ

يطاعن عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهنَّد (١)

وعلى هذه الوتيرة يظل شاعرنا يعبر عن نفسه الأبيّة
التي ترفض الأسر والقيّد ، فنجد مدى فخره بعلو نفسه وهمته (متى
تخلف الأيام مثلي) . ويعتز بسيفه المهند وبدخوله المعارك الضارية
ضد الروم . (شديداً على البأساء) كذلك الفخر في (شرف العلا) ، (
تفتدوا لعلاكم) ، (يطاعن عن أعراضكم) ، (ويضرب عنكم بالحسام
المهند) .

في هذه العبارات المصورة ترى الشاعر وقد راح يفتخر
بتفردّه وتميزه عن سائر الفرسان ، بكونه شديد البطش والضرب
بسيفه على الروم ، ويفتخر بأن العلامقرون بفروسيته ، وما

(١) الديوان ص ٩٨ .

كان طعنه وضربه لعدوه إلا دفاعاً عن أعراض المسلمين وعرضه .
كذلك يفتخر بأنه حامي حمى قومه ، فلا يستباح بوجده .

وقد أتى الفخر في شعره ممزوجاً بالصباية واللوعة ؛ جرَّهما
إليه تدلُّ الحبيبة لكثرة من يقف على بابها لاهثين وراء جمالها ،
وهي لا تهتم بهم ، إنها حياة الدلال الحقيقي يصورها أبو فراس في أكثر
من موطن في ديوانه كقوله مثلاً (١) :

ولو أنها لانت لخفض معيشة أطاعت مقالات الغواني الكواعب
ولكن نفسي لا تحب لي الرضا بغير الرضا من عاليات المناصب
وإني لمن قوم كرام أصولهم بهاليل ، أبطال ، كرام المناسب
ولولا "رسول الله" كان اعتزأونا لأشرف بيت من "لؤي بن غالب"
وقد فاخر الشاعر نفسه أيضاً وهو يذكر غزواته بخرشنة ،
وقد مر بها وهو أسير ويتذكر ما فعل بها . فكم أغار عليها وسبى
أهلها ، وأشعل النيران في بيوتها ، يتذكر كل البطولات العظيمة التي
مر بها بخرشنة ، وما أصاب أهلها من الدمار والسبى يتذكر كل ذلك
وهو أسير بها فيقول (٢) :

ولئن لقيتُ الحُزنَ في — كِ فقد لقيتُ بكِ السرورا

(١) الديوان ص ٥٩ .

(٢) السابق ص ٣٣ .

ولئن رُميتْ بحادثٍ فلألفينَ له صبورا

صبراً لعل الله يقـ تح بعده فتحاً يسيرا

من كان مثلي لم يبت إلا أسيرا أو أميراً

حينما تجمعت بعض القبائل العربية على سيف الدولة . قال

ابن خالوية :

فنهض سيف الدولة ، ومعه ابن عمه أبو فراس حتى أوقع

بهم وعليهم يومئذ (النديُّ بن جعفر) و (محمد بن قريع)

العقيليان من آل المهنا ، فهزمهم وقتل وجوههم واتبع فارهم ، وقدم

أبو فراس في قطعة من الجيش يتبعهم بقتل ويأسر حتى ألحقهم

بالغوير ، فلم ينج إلا من سبق به فرسه واتبعهم سيف الدولة حتى

لحقهم بتدمر فقتلهم وأهلكهم عطشاً وقتلاً بالسماوة وأرضها ..

قال أبو فراس مفتخراً بذلك (١) :

لنا الجبلُ المطلُّ على نزار حللنا النجدَ منه والهضابا

تفضلنا الأنامُ ولا نحاشي ونوصف بالجميل ولا نحابي

وقد علمت " ربيعة " بل " نزار " بأنا الرأس والناس الدنابي

فلما أن طغت سفهاء " كعب " فتحنا بيننا للحرب بابا

(١) الديوان ص ٣٤ .

وقصيدته التي كتبها إلى أخيه يذكره بيوم الأسر وما حدث في
تلك المعركة يقول أبو فراس (١) :

ومن مذهبى حُبُّ الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب
عتادي لدفع الهم نفسٌ أبيّة وقلب على ما شئت منه مصاحبٌ
وجردٌ كأمثال السعالي سلاهيبٌ وخصوص كأمثال القسي نجائب
تكاثر لؤامي على ما أصابني كأن لم تنب إلا بأسري النوايب
يقولون: "لم ينظر عواقب" أمره ومثلي من تجري عليه العواقبُ
ألم يعلم الذلّان أن بني الوغى كذاك سليبٌ بالرماح وسالبُ

فبكل ثقة واعتزاز يفاخر أبو فراس بنفسه وبشجاعته ،
ويكشف عن أن عشقه لدياره نابع من عشقه للناس الذين يسكنون
فيها . أما ما يتعرض له من الهموم التي واكبته في سجنه ، فقد
أعد لها العتاد الممثل في نفسه الأبيّة ، وهو شديد السيطرة والتحكم
في عواطفه وإحساسه حينما يأخذه قلبه إلى حيث يريد أو لا يريد .
ومما افتخر بنفسه فيه قوله (٢) :

ولو عرفوني حق معرفتي بهم إذا علموا أنني شهدتُ وغابوا

(١) السابق ص ٤٠ .

(٢) السابق ص ٤٦ .

وما كلُّ فعَالٍ يجازى بفعله ولا كلُّ قوالٍ لديَّ يجابُ
ورُبَّ كلامٍ مرَّ فوق مسامعي كما طنَّ في لُوح الهجير ذنابُ
إلى الله أشكو أننا بمنازل تحكَّم في آسادهن كلابُ

وهنا تظهر النفس الأبية لأبي فراس ، وقد امتزجت بالنفس
الساخطة ، وهذا يظهر من استخدام الشاعر لكلمة (لو) ، وهي هنا
حرف امتناع لامتناع ، أي أنهم لن يعرفوه أبداً .

ويفخر أبو فراس مرة أخرى بذكر غزواته بخرشنة وقد مر بها أسيراً
. يقول (١) :

ولئن رُميتُ بحادث فلألفين له صبوراً
صبراً لعل الله يفـ تح بعده فتحاً يسيراً
من كان مثلي لم يبت إلا أسيراً أو أميراً
لستُ تحلُّ سرائنا إلا الصدور أو القبورا

فالشاعر يصور أنه وإن كان تعساً بها الآن بسبب أسره ،
فلكم كان مسروراً وهو يقتل أعداءه . والبيت الأخير نجده يؤكد معناه
في رومية أخرى حين يقول (١) :

(١) الديوان ص ١١٦ .

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ

الشاعر يرى أنه لا يعرف التوسط ، بل يقر أن قبيلته في صدارة العالمين ولا تعترف أن يكون لها منزلة وسطى بين القبائل ، وهذا لا يرضي غرور الشاعر بقومه ، ويجعل لهم القبر مكاناً بدلاً من الحياة حينما تتأخر منزلتهم بين الناس ، وهذا قمة الفخر والذي يرضي غرور الشاعر وفخره بقبيلته التي ضربت أفضل المثل في تحقيق الانتصارات على الروم ، رغم تاريخهم الطويل في بلاد العرب

ب (الفخر الجماعي :

اهتم أبو فراس بالفخر القومي فتراه يفتخر بأسرته الحمدانية ، ووقائعها مع الروم . وهذا يثبت مدى اعتزاز الشاعر بأسرته التي ينتمي إليها ، وقد رأيت أن فخره بشعره القومي يهتم فيه بإظهار حروبهم ، وتفوقهم على أعدائهم ، وكانت الحرب هي محك الفخر القومي بأسرته العريقة ، والشاعر منصف في ذلك ، فأسرته ما شهرت إلا بفضل تصديها للروم ، ويعد هذا اللون من أهم الألوان في شعره ، ومما لا ريب فيه أن عناصر الفخر القومي كانت مهياة أمام الشاعر ، وكيف لا . وهذه الأسرة العريقة اعتمدت

(١) السابق ص ١٦٥ .

في قيامها وشهرتها على خوض المعارك إلى جانب حسن إعداد الآليات والمعدات والخطط الحربية اللازمة لخوض مثل هذي الحروب المتكررة مع الرومان ، خاصة على الآلات الحربية . وفي ذلك يقول أبو فراس (١) :

وإذا فخرتُ فخرتُ بالشَّمِّ الأليِّ شادوا المكارم من بني حَمْدَانِ
نحن الملوكُ بنو الملوكِ أولي العُلا ومعادن السادات من "عدنان"
والمجد يعلم أننا أركانُه والبيت معتمد على الأركانِ
قومي متى تُخبرهُمُ لم يُحسِنوا غير اصطناع العُرفِ والإحسانِ
وكم مُعَدَمٌ أَعْتَوَا بفضل سَمَاحهم كرماً وفكوا عن أسير عان

فالشاعر يشيد بأهله وبأسرته التي شيدت المكارم يقول (٢) :

تشوقني الأهلُ الكرامُ وأوحشتُ مواكبُ بعدي عندهم ومجالسُ
وربَّما زانَ الأماجدَ ماجدٌ وربَّما زانَ الفوارسَ فارسُ
رفعت على الحسادِ نفسي وهل هُمُ وما جمعوا لو شئتُ إلا فرائسُ
أيدركُ ما أدركتُ إلا ابنُ هَمَّةِ يمارس في كسب العلاما أمارسُ

(١) الديوان ص ٣٣٤ .

(٢) السابق ص ١٩٨ .

يضيق مكاني عن سواي لأنني على قمة المجد الموشل جالس

سبقتُ وقومي بالمكارم والعُلا وإن زعمت من آخرين المعاطسُ

ولا يغيب عنا شعره القومي وتفاخره على الروم ، فقد صور
مدى قوة قومه ، ومن ذلك أنه افتخر على الدمستق في مناظرة
بينهما ، وقد قال له الدمستق متهما إن العرب أصحاب أقلام لا
أصحاب رماح وحروب ، وكان الرد قويا من جانب أبي فراس بأن
العرب يغارون على أهله منذ ستين سنة ، ونظم في ذلك قصيدة تعد
من أروع ما قال أبو فراس في حماسته ضد الروم .

يقول أبو فراس (١) :

أتزعم يا ضخم اللغaid أننا ونحن أسودُ الحرب لا نعرفُ الحربا؟

فويلك من للحرب إن لم تكن لها؟ ومن ذا الذي يُمسي ويضحي لها تريا؟

ومن ذا يُلفُ الجيشَ من جنباته؟ ومن ذا يقود الشم أو يصدُم القلبا؟

فأبو فراس يفند كلام الدمستق ، ويقول إنه كذب وبهتان ،
وهذا زعم وافتراء على العرب ، ثم يعيب عليه منظر (يا ضخم
اللغaid) بينما يفخر بقومه أنهم أسود الحروب . ثم يتوعد هذا بأن
الويل له من رجال هم أهل حروب ووقائع ، فإذا ما أتى الصباح أو حل
المساء رأيتهم في أماكن النزال وهكذا ...

(١) الديوان ص ٣١ .

ويوجه الشاعر هذا الكلام ويزينه بأسلوب الإنشاء
الاستفهامي ، والغرض منه الاستهزاء بهذا المدعي الذي لا يعترف
بقوة الأسرة الحمدانية أصحاب الجاه والحروب والنزال .
ولكنه لم يكتف بهذا الكلام ، بل جعل لحديثه براهين
دامغة تؤكد صدق ما قال ، ويبرهن على ذلك بقتل أخيه ، يقول أبو
فراس في ذلك (١) :

وويلك ممن أرى أخاك (بمرعش) وجلّ ضرباً وجه والدك العضباً
وويلك من خلى ابن أخيك مؤثماً وخلاك "باللقان" تبتدرُ الشعباً
أتوعدنا بالحرب حتى كأننا وإياك لم يُعصبَ بها قلبنا عصباً
لقد جمعنا الحرب من قبل هذه فكُنّا بها أسداً، وكُنّتَ بها كلباً

ومن الإنصاف أن نقول إن أبا فراس لم يبتعد عن الحقيقة
، بل الصواب كل الصواب حينما نجده وقد راح يفخر بالأسرة
الحمدانية ، ويعلى من شأنها في أشعاره .. وقد وصل به الفخر إلى
أقصى مداه حينما تهكم عليه الدمستق بأن العرب أصحاب أقلام لا
حروب فردّ عليه ادعاءه قائلاً (٢) :

بأقلامنا أجمرت أم بسيوفنا؟ وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا؟

(١) السابق ص ٣١ .

(٢) السابق ص ٣٢ .

تركناك في بطن الفلاة تجوبها كما انتفق اليربوع يلتئم التراب

تفاخرنا بالطن والضرب في الوعى ! لقد أوسعتك النفس يا بن أستها كدبا

وهذه الأبيات علامة حقيقية على إظهار سمو الحمدانيين ،
فبيوتهم تصل في رفعتها إلى عنق الثريا ، وحوله الفوارس على
تأهب للمعارك ، كذلك كثرة موائد الطعام ، فهم أهل حرب وأهل كرم
ورفد .

وليفتخر أيضاً الشاعر بابن عمه سيف الدولة ، وهو من
الفخر الجماعي . وله هذا النصيب الأكبر في فخره ومدحه ، ولم
يمتدح أبو فراس أحداً مثلما امتدح ابن عمه سيف الدولة . قال ابن
رشيق القيرواني : (الافتخار هو المدح نفسه) (١) .

ومرد هذا الافتخار إلى باب الإعجاب بالشخص وأعماله وما
حازه من مآثر ومحامد أهمها الشجاعة والمروءة وقوة الشكيمة
وشدة البأس ، وحسن تصريف الأمور ، والقدرة على إنفاذها بقوة
حنكة ونفاذ بصيرة ... إلخ ما يتمتع به سيف الدولة من مناقب
وفضائل رصدها شاعرنا ، وعدّه بها نموذجاً صالحاً ، وقدوة يقتدى
بها ، ويفتخر بها بلا حدود ، هذا الفخر ، وذاك الإعجاب جعلاً
شاعرنا يشيد بسيف الدولة حتى وهو في قبضة الأسر ، وخلف
القضبان ، وحتى مع تراخي سيف الدولة في عملية افتدائه وإطلاق

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تأليف : أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني

دار الجليل بيروت لبنان ط٤ ١٤٢/٢ ١٩٧٢ م .

سراحه ، والأبيات التالية تجسد مزيداً من العزة والإباء لهذه النفسية
الساخطة التي تؤثر الموت على سهوات الجياد والخيول مع فرسان
قومه ، على أن تموت ذليلة مكمدة موسدة بأيدي النصارى ، تراه
يقول في ذلك (١) :

وما الأسرُ مما ضقت ذرعاً بحمِّه وما الخطبُ مما أن أقولَ له قد (٢)
وما زلّ عني أن شخصاً معرّضاً لنبلّ العدى ؛ إن لم يُصبْ ؛ فكأن قد
ولست أبالي إن ظفرت بمطلب يكون رخيصاً أو بوسم مزود
ولكنني أختار موت بني أبي على سهوات الخيل غير موسّد
وتأبى وآبى أن أموت موسّداً بأيدي النصارى ، موت أكمد أكبد

(يستطرد أبو فراس فيتحدث عن أجداده ومفاخرهم ،
ويذكر أعمامه وشجاعتهم وكرمهم ، ويذكر لكل منهم صفحة من
صفحات الفخار حتى يصل إلى ذكر سيف الدولة والأمير الذي رباه
وأكرمه ، ووهب له الضياع وغمره بالإقطاع والأموال ، فيذكر
صفحات مجده مع الروم ، ولا ينسى أن يذكر نفسه بجانبه) (٣)

(١) الديوان ص ٩٦ .

(٢) قد : يكفى أو حسب .

(٣) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين د . مصطفى الشكعة الأنجلو المصرية ص ٢٣٩

يقول أبو فراس (١) :

منعت حمى قومي وسدتُ عشيرتي وقلدتُ أهلي عرَّ هذي القلائدِ

خلائقُ لا يُوجدنَ في كلِّ ماجدٍ ولكنَّها في الماجدِ ابنِ الأماجدِ

ولا يزال أبو فراس يستطرد مادحاً فهو (خبير ببلاد الروم عليم بمسالكها ودروبها ، عليم بثغورها ومدتها ، فقد زارها غزياً أكثر من مرة ، وكذلك يرددها في شعره ترديد الخبير بها ، فيذكر خرشنة وأرقنين ومرعش وغيرها من المدن التي شاهدت الأحداث العظيمة والوقائع المظفرة بين الحمدانيين والروم) (٢) .

ولكن : السؤال الذي يفرض نفسه هنا .. ما الفرق بين نوازع الفخر بين المتنبي وأبي فراس ؟

ونجيب عن ذلك فنقول : إن أبا فراس كان في حاجة إلى كل هذا الفخر الذي وقفنا على جوانب منه : (لقد قال أكثر فخره وهو أسير في بلاد الروم ، وكان في حاجة إلى أن يردد أمام نفسه مثل هذا القول ليزيد من ثقته بها ، ويبعد عنها مرارة الذل والأسر ، وليقف صامداً أمام الوشاة الذين استغلوا غيابه، ويذكروهم بنفسه . لقد جاء فخره قوياً ليعرفهم مكائنتهم وحجمهم الطبيعي ، ويذكروهم

(١) الديوان ص ١٠٢ .

(٢) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٢٣٩ .

بنفسه ، لقد جاء فخره قوياً معبراً ؛ لأن ما أنشده من هذا الفن كان تصويراً لحقيقة حالة وواقعة (١) .

أما المتنبّي : فـ " هناك عوامل أثرت في طبيعة فخره وحكمه الفخرية منها نشأته في البادية ، مما جعله يتابع الجاهليين والإسلاميين في فخرهم وعدم انتمائه لقبيلة معروفة يفتخر بها جعل من نفسه محطة يفخر بها توصله على أمجاد من ينتمي لأصل كريم ، وكان يشعر بالغرابة النفسية ، وهذا دفعه للشعور بالغرور والتمادي فاعتمد على أدبه ليحقق به آمال حياته (٢) .

فضلاً عما قاله حنا الفاخوري : (ولعل يتمه في حداثة سنه الذي حرمه عطف والده وحفاوة المتزلفين دعاه إلى الفخر) (٣) .
من ثم نرى حياة هذا الشاعر حافلة بالمتباينات ، القسوة من فقد الأب ثم المواقع التي خاضها بشرف وانتصر فيها مع كثرة الحاقدين والوشاة ، وينتهي المطاف بالأسر .
كل هذه الأشياء وغيرها صنعت منه شاعراً يفتخر بنفسه ويفتخر بقومه .

ومن خلال فخره أيضاً تجده يمزج بين الفخر والغزل ، وإن

(١) شعراي فراس الحمداني دراسة فنية ماجدولين بيسو ط ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ص ١٦٩ .

(٢) موازنة بين الحكمة في شعر المتنبّي والحكمة في شعر أبي العلاء د . زهير صبري دار الأصاله الرياض ١٤٠٢/١٩٨٢م ص ١٤٦ .

(٣) الفخر والحماسة دار المعارف مصر ص ٣١ .

سبقه في ذلك عنترة العبسي غير مكثّر في ذلك في قوله لعبلة .

ولقد ذكرك والرماح نواهلٌ منّي وبيضُ الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيلَ السيوف لأنها لمعت كبارقِ ثغرك المتبسّم

أما أبو فراس فيقول (١) :

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذلتُ دمعاً من خلّاقه الكبر

تكاد تضيء النار ، بين جوانحي إذا هي أذكتها الصّباة والفكر

مُعَلّتي بالوصل ، والموت دونه إذا متّ ظمناً ، فلا نزل القطر

حفظت وضيعت المودة بيننا وأحسن ، من بعض الوفاء لك ، العذر

لقد سيطر غرض الفخر على جميع أغراض شعره وإن شابه
الغلو غير المفرط أحياناً .

(١) الديوان ص ١٦٢ .

ثانياً : أصداء الغربية :

للغربة تأثيرها على المغتربين ، وغالباً ما تكون نقمة .
فما أشدها إذا كانت في أسر ! وما أقساها إذا ما كانت لفارس
عربي ! .

فشاعرنا في أسره وغربته وهو فاقد لأمه وزوجته وابنته
والإمارة والأهل والأحباب . جاء أنينه عالياً منبعثاً من الأعماق
المكلومة ، ولا أدل على ذلك من قصيدته (يا حسرة ما أكاد أحملها)
التي قالها بعد أن بلغه أن أمه قد توجهت من منبج إلى سيف الدولة
في حلب كي تتحدث معه حول مفاداة ولدها سيف الدولة وتخليصه
من الأسر ، ولكنها رجعت إلى موطنها ، وقد خاب مسعاها إلى
سيف الدولة الذي لم يحقق مناها .

ولما علم الفارس العربي بهذا الأمر أرسل هذه القصيدة إلى
سيف الدولة متحسراً ومتألماً لعدم اهتمام سيف الدولة بأمره .
لذلك يظهر صدى غربته من خلال هذه القصيدة التي حاول
فيها تخفيف معاناة هذه الأم الكليمة الحزينة على أسر ولدها . يقول
أبو فراس (1) :

يا أيها الراكبان هل لكما في حمل نجوى يخف حملها؟

قولاً لها : إن وعتْ مقالكما وإنْ نكري لها لئذْهلها

(1) الديوان ص ٢٦٣ .

يا أمّنا هذه منازلنا نتركها تارة وننزلها
يا أمّنا هذه مواردنا نعلّها تارة وننهّلها
أسلمنا قومنا إلى نُوبٍ أيسرُها في القلوبِ أفتلّها
واستبدلوا بحدّنا رجالَ وغميٍّ يوُدُّ أدنى عِلى أمثلها

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يحاول تخفيف آلام الأم الحزينة لغياب ابنها تراه يناجي الراكبين ، ويحاول إغاثة اللفان ، ومناجاةه جاءت على نهج القدماء في مخاطبة الصاحبين ، فقد استوقف الركبان ، وقد حملهم رسائل تحمل بين طياتها أسمى معاني الشوق والحنين إلى الأهل وكل الأحباب .
وهو أيضاً يبيث محاولة التخفيف من برحاء أمه العليّة وهمومها بكل سبيل ، فكأنه يعزي أمه في همومها .
وقد نلاحظ التلميح إلى سيف الدولة بأنه تركه في أسره لكنه ومن خلال أصداء الأسر قد تمكن من الوقوف على أسرار الحياة ، وهذا نلحظه في قوله :

يا أمّنا هذه منازلنا نتركها تارة وننزلها
يا أمّنا هذه مواردنا نعلّها تارة وننهّلها

حقاً إن صدى الأسر له تأثير على روح أمه ، وعلى نفسه
المشتاق إلى العودة إلى أهله وأحبابه . وإن كانت الغربة نقمة إلا أن
لها تأثيراً على سرد الشعر.

ويظهر صدى الأسر كذلك من خلال قوله (١) :

لولا العجوز بـ (مَبِج) ما خِفْتُ أسباب المنيّة

ولكان لي عمّا سألـ تُ من الفِدا نفسُ أبيّة

لكن أردتُ مرادها ولو انجذبتُ إلى الدنيّة

وأرى محاماتي عليّ ها أن تضام من الحميّة

وهنا تظهر المأساة ومدى اللوعة والحزن للبعد عن الأم ،
فلولا أمه العجوز لما خاف الشاعر أسباب الموت ، ولكانت نفسه
قوية لا يخشى شيئاً . فصدى الأسر يظهر على قلب الشاعر وبخاصة
حينما يشعر بروح أمه مما يجعله يناديها لقوله (٢) :

يا أمتا لا تحزني وثقي بفضل الله فيّ

يا أمتا لا تيأسي لله الطواف خفيّة

كم حادث عتّا جلا ه وكم كفانا من بليه

(١) الديوان ص ٣٥٥ .

(٢) السابق ص ٣٥٥ .

أوصيك بالصبر الجميل ————— ل فاتنه خير الوصية

وهنا يناجي أمه بالألتجزع ، بل تصبر وتثق بإحسان الله تعالى ويناجيها بعدم اليأس ؛ لأن الله لطيف بعباده ، وكثير ما يتعرض الإنسان للحوادث ثم يجليها الله عنه ، وكثير من البلياء قد كشفت . ثم يقول : (أوصيك بالصبر) وأي صبر هنا إنه الصبر الجميل . كما قال سيدنا يعقوب ﴿ ... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ... ﴾ (١) .

إنه خير الوصايا التي التمسها يعقوب في ولده يوسف عليهما السلام ولم ينس في غربته أحبابه ، لقد ذكرهم برقيق شعره حينما قال (٢) :

وأصـبـية كـالفـراخ	أكـبـرهم أصـغر
وقـوم أـفـنـاهم	وغـصن الصـبا أخـصر
يخـيـل لي أمـرهم	كـأنهم حضـر
فحزني لا ينقضي	ودمعي ما يفتـر
وما هذه أدمعي	ولا ذا الذي أضـمر

(١) سورة يوسف : آية ١٨ .

(٢) الديوان ص ١٦٦ .

ولكن أداري الدموع وأستر ما أستر

مخافة قول الوشا ة مثلك لا يصبر

نلاحظ أن هذه الأبيات تحمل الأنين الصارخ في ألفاظها ، ومعانيها من البيت الأول حتى الأخير . فهو في أسرة يتذكر أصبية يتخيل أهله جميعاً أمامه في حضرته ، وقد ألف قومه ما زالوا في صباهم ، وكأنهم الغصن الأخضر الرقيق . فالأحزان عند الشاعر لا تنقضي أبداً ولا الدموع تفتت ، ومع أنها لا تنتهي إلا أن الشاعر يحاول كتمانها ومداراتها وستر الكثير منها ، ثم يعلل لذلك في البيت الأخير ، وذلك خوفاً من كلام الوشاة أن مثله لا يصبر . ومن أصداء أسره أيضاً قصيدته التي أرسلها إلى سيف الدولة يعزيه بأخته ، وقد تأثر بقيده .. يقول أبو فراس (١) :

أوصيك بالحنن لا أوصيك بالجدد جَلَّ المصاب عن التعنيف والفند

إني أجلك أن تُكفى بتعزيةٍ عن خير مفتقدٍ يا خير مفتقد

هي الرزية إن ضنَّت بما ملكت منها الجفون فما تسخو على أحد

بي مثل ما بك من حزن ومن جزع وقد لجأت إلى صبر فلم أجد

لم ينتقني بُعدي عنك من حزن هي المواساة في قرب وفي بُعد

فترى الحزن عند الشاعر وقد صار وصية مثلما وجدناه فيما

(١) الديوان ص ١١١ .

سبق من الحزن الذي يظهر منه على أنه قليل مما لديه .

ورؤية الشاعر حيال سيف الدولة أن الأفضل الحزن ، وعدم الصبر ، وعدم الجلد أمام المصائب ، وهذا يرجع إلى عظم المصيبة لفقد سيف الدولة أخته ، وما زالت الجفون تسخو بدموعها ، رغم أنها لا تسخو على أحد ، ولكن عظم المصاب هو الذي جعلها تسخو بما لديها ، ومع ذلك فإن الحزن يجمع بين الشاعر وسيف الدولة ، فالمصاب واحد ، والشاعر لم يجد الصبر وقد بحث عنه وبرغم البعد بين الشاعر وسيف الدولة فإن المواساة تكون في القرب والبعد .

وهذه هي أصداء الغربة : الحزن يجلب الحزن ، بل يزيد من الأحزان والآلام ، فالغربة لها تأثيرها ؛ إذ تثير الأحزان وتزيدها في النفس البشرية .

ومن أمارات النفس البشرية في الأسر والغربة أن الإنسان ينتقل إلى حالة اليأس ، ويتذكر الآخرة ، وما يصنع فيها ويميل إلى الاستسلام ، ويظهر هذا جلياً في قول أبي فراس (١) :

ولو أني رجوت به بقاء لمكّنت العوائل من زمامي

ولو كانوا وكنت إلى حمام لقيت بمهجتي حر الحمام

بنو الدنيا إذا ماتوا سواءً ولو عمر المعمر ألف عام

ألا يا صاحبي تذكراني إذا ما شمتما البرق الشامي

(١) السابق ص ٣١٩ .

إذا ما لاح لي لمعان برق بعثت إلى الأحبة بالسلام

ثالثاً : العتاب :

كثيراً ما يمتزج العتاب بالشكوى والأثمين ، لكن حرصت هنا على فصلهما توضيحاً للصورة في ذهن المتلقي ، ومن خلال أشعار أبي فراس وجدت أن العتاب قد يصل عنده لدرجة التحسر ، وظهر هذا الغرض بعد الأسر ، فأبو فراس يعد من أوائل الشعراء الذين برعوا في الشكوى والعتاب ، وهذا اللون يختلف عنده عن غيره من الشعراء ، فأبو فراس يعتب على سيف الدولة لأنه تركه في الأسر ، وهو يعلم ببطولاته في الحروب وقد فك قيد غيره فيعتب أبو فراس قائلاً (١) :

وما كنت أخشى أن أبيت وبيننا	خليجان والدرّب الأشمُ وآلسُ
ولا أنني أستصحبُ الصبر ساعة	ولي عنك منّاع ودونك حابسُ
ينافسني فيك الزمانُ وأهلُهُ	وكل زمان لي عليك منافسُ
شريكك منْ دهري بذي الناس كلّهم	فلا أنا مبخوس ولا الدهر باخسُ
وملكتك النفسَ النفيسة طائعاً	وثبذلُ للمولى النفوسُ النفائسُ

(١) الديوان ص ١٩٧ .

فكل خشية أبي فراس أن يبيت بعيداً عن سيف الدولة ،
وبينهما الأسر ، ويخاف الشاعر على صبر نفسه ، وسيف الدولة
يعلم أن هناك الكثير ممن يتنافس على إظهار حبه وولائه له ،
ولكن حب أبي فراس يختلف عن حب الآخرين ، فهو يحبه حباً
خالصاً مجرداً عن أي هوى أو منفعة ، هو لا يريد مالاً ولا شهرة
لأنه أحد أمراء الدولة الحمدانية .

أما الآخرون فيحبونه لأجل المال ، ومن هؤلاء المتنافسين
أبو الطيب المتنبي الذي كان يغار منه أبو فراس .

ومن عتابه وهو في أسره هذه العينية التي قال عنها ابن

خالوية (١) :

(وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة بما قرره مع ملك الروم
من الفداء فتأخرت الأجوبة فكتب إليه أبو فراس يعتب عليه ويستبطن
أمره ، فوجد سيف الدولة من ذلك وقرّعه في كتبه إليه وإلى غيره)
لقد كتب أبو فراس قائلاً (٢) :

تتكرّر سيف الدين" لما عتّبتهُ وعَرَضَ بي تحت الكلام وقرّعا

فقولاً له : منْ أصدقُ أُنّي جعلتك مما رابني الدهرُ مقرّعا

ولو أنني أكننّته في جوانحي لأورق ما بين الضلوع وفرّعا

فلا تغترر بالناس ، ما كلُّ من ترى أخوك إذا أوضعت في الأمر أوضعا!

(١) الديوان ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٢) السابق ص ٢٠٩ .

ولا تتقلد ما يروعك حليته تقلد إذا حاربته ما كان أقطعا!

أرسل إليه هذه القصيدة ومنها هذه الأبيات كعتاب لسيف الدولة ؛ لأن سيف الدولة قد سمع كلام الوشاة ، ومع أن سيف الدولة أنكر ذلك . فإن أبا فراس يجيبه بأنه يحمل بين طيات قلبه أصدق معاني الحب الصافي ، وأن سيف الدولة هو الملجأ والملاذ له لما بينهما من مصاهرة وترابط ، فمهما خاف من صنيع الأيام به فإنه يرى سيف الدولة سنداً له ، وإن ضمه بين جوانحه وضلوعه لأورق ، وصارت له فروع ، كل هذا من فرط حب أبي فراس لسيف الدولة . وإن كنت أرى في هذه الصورة المؤثرة التي تحمل معاني كثيرة أنها صورة شعرية مبتكرة لعصر الشاعر ، وهذا يدل على ثبات المحبة في قلبه .

ثم يواجه أبو فراس لسيف الدولة بعض النصائح ثم يعود مرة أخرى لنصح سيف الدولة ، ثم يسترضيه إلى أن يصل إلى مدحه ، ويشكره على ما قدم إليه وما يستحقه من نعم من الله به عليه ، وذلك كله حتى يلين قلب سيف الدولة لأبي فراس ويفديه من أسره ؛ ومن ثم ينضح أن عتاب أبي فراس مختلف عن عتاب الشعراء الآخرين فهو ممزوج بالحب والرضا ، والتجرد عن الأهواء واللهث وراء النزوات وتحقيق الطموحات الشخصية ، وهو إلى جانب ذلك فيه الكثير من الصور الشعرية المبتكرة ، كما أنه يضم الكثير عن النصائح والوصايا والخبرات التي اكتسبها الشاعر من الحياة

والأحياء ومنغصات الأسر والغربة ... إلخ ما يجعل لعتابه مذاقاً
خاصاً ، ولعل أجمل ما قيل من عتاب في الشعر العربي كافة هو
المنسوب إلى أبي فراس ، والذي يقول فيه موجهاً كلامه إلى ابن
عمه سيف الدولة (١) :

فليتك تصفو والحياء مريرةً وليتك ترضى والأثم غصابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبينني وبين العالمين خرابُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هينٌ وكل الذي فوق الترابِ ترابُ

رابعاً : الشكوى :

من الأغراض التي ظهرت في شعر أبي فراس وتناوله بكثرة
شعر الشكوى، وهذا الغرض الشعري القديم قد نظم فيه أبو فراس
وأجاد ، مما جعل أحد النقاد يقول عنه : (إن أبا فراس كان إمام
الشعراء في الشكوى والعتاب) .

ومن أهم شعر الشكوى عند أبي فراس شكواه لسيف الدولة
الحمداني .

الشكوى لسيف الدولة :

تعددت شكواي أبي فراس منها عدم إشراكه في حرب ديار

(١) الديوان ص ٣٢ .

بكر، وفي هذا يقول (١) :

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب وناديت للتسليم خير مجيب
ولم يبق مني غير قلب مشيع وعود على ناب الزمان صليب
وقد علمت أمي بأن منيتي بحد سنان أو بحد قضيب
كما علمت ؛ من قبل أن يغرق ابنها بمهلكه في الماء " أم شبيب" (٢)
لقيت من الأيام كل عجيبة وقابلني دهري بوجه قطوب

وهو هنا يمتدح سيف الدولة في شكواه له ويعتبره
عدته في الحرب ، كما يجعل من نفسه ولداً تقياً مخلصاً ،
وتشبيهه هنا حسن . وهذا يدل على شيئين الأول حبه لشرف الحرب
والفروسية . وهذا يظهر لنا فروسية، الشاعر وحبه للمعارك .
والثاني : طاعته لمولاه سيف الدولة حتى جعل من نفسه
ولداً تقياً مخلصاً يمتلك حسن الأدب والطاعة .
وما يجب أن نقف عنده قصائده في الأسر وهي كثيرة ،
ولكن سيف الدولة كثيراً ما تنكر لشكواه وعرض بكلامه . ومع ذلك

(١) الديوان ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) أم شبيب: فاعل " علمت" في أول البيت ، وشبيب : هو شبيب بن شبه ، فارس
الحوارج ، غرق في نهر .

كان أبو فراس يحمل بين جنبيه أصدق الحب والصفاء ، وأنه الملجأ إليه ، ومع ذلك يعود الشاعر إلى ابن عمه يسترضيه ويطلب إليه الأمان وفك أسر ه . ويتمنى عليه ألا يستمع لكلام هؤلاء الوشاة الذين فصلوا بين سيف الدولة وابن عمه .

إن دل كلام أبي فراس وتمسكه بابن عمه فإنما يدل على شكواه وحبه الحقيقي لسيف الدولة ، وفي كل حالة يذكر فضل سيف الدولة عليه وإحسانه إليه ، ومن ثم نراه ما بين المديح والشكوى حتى يلين قلب سيف الدولة له . ويسرع إلى فدائه .

يقول أبو فراس (١) :

فأله إحسانٌ عليّ ونعمةٌ والله صنّعتُ قد كفاتي التصنّعاً

أراني طريق المكرمات كما رأى "عليّ" وأسماي على كل من سعى

فإن يكُّ ببطءٍ مرةً فطالما تعجل نحوي بالجميل وأسرعاً

وإن يجف في بعض الأمور فإبني لأشكره الثعمي التي كان أودعاً

نلاحظ من خلال الأبيات شكوى الشاعر لسيف الدولة الذي يقسو عليه ويتركه في أسر ه ، ولكن الشاعر بروح المحب لحبيبه يشكو إليه بأرق عبارات ؛ فالشاعر في موقف ضعف ، وقد وصل به الأمر إلى الاستعطاف والاسترحام ، والسبب في ذلك هو أنه أسير لا حول له ولا قوة ، وأسير لدى الأعراب والأعداء ، مما يضاعف من

(١) الديوان ص ٢١٠ .

شكواه التي وصل بها إلى التذلل لابن عمه ، ومدى تأثر الحرب
لفقد وسؤال الناس عنه ، أي أنه في موقف التذلل لا ينسى الفخر
بنفسه ، وهذه الصورة المحزنة ؛ والمرض ينسى الشاعر النوم ،
وقد شبه الجفون بأكف تقلبه من جانب إلى جانب ، فلا يستقر على
حال من شدة الألم . فيا لطول ليله وهو دائم السهر مع النجوم
يحرصها من بداية ظهورها في السماء حتى أفولها ، ولم ينس
الشاعر نفسه الأبية والاعتزاز والأنفة والحروب التي استوحشته .

ثم يتجه الشاعر إلى ربه مناجياً بكلمات رقيقة جميلة ، وفي
نهاية القصيدة يتجه إلى سيف الدولة موضحاً له إن عناده لدفع ما به
من نوائب ، وهو الأمل والرجاء ، والظل الذي يستظل به وقت
اشتداد الحر ، ثم يذكره بالمحبة وبالأخوة ، ويسأل عن حبه له ،
وما وعده به سيف الدولة ويطالبه بالعطف عليه . ويصف له ما
تحمله وإن كان سيف الدولة في حبه له محقاً ، فلن يستمع إلى كلام
الوشاة ثم يطلب إليه الوفاء بالعهد ولا يستمع للقليل والقال وكلام
الوشاة ، يقول أبو فراس (١) :

يا عُدَّتِي فِي النَّابِيا ت وظَلَّتِي عِنْدَ الْمُقِيلِ
أَيِّنَ الْمُحِبَّةِ وَالنِّزْمِ م وما وَعَدتْ مِنَ الْجَمِيلِ
أَجْمَلِ عَلَى النَّفْسِ الْكْرِيْمِ مةً فِيَّ وَالْقَلْبِ الْحَمُولِ

(١) الديوان ص ٢٧٤ .

أما المحب فليس يُصـ غي في هواه إلى عنول
يمضي بحال وفائه ويصدُّ عن قال وقيل
كل هذه لأجل أن يستثير سيف الدولة حتى يدفعه لأجل فك
أسره .

الشكوى إلى الطبيعة :

الطبيعة هي مآل الشعراء ومهبط ذكرياتهم إليها يدنون
ويعبرون عما يجول بخواطرهم في كل عصر من العصور الأدبية ،
ومن ثم وجدنا شاعرنا يتجه إلى إحدى مفردات الطبيعة العلوية
محاوراً وبائناً حزنه وشاكياً لوعة عزبته وفقده قائلاً (١) :

ما لنجوم السماء حائرة! أحالها في بروجها حالي؟

أبيتُ حتى الصباح أرقبها مهتديات في حال ضلال

أما تراها عليّ عاطفة تكاد من رقة تُبكي لي!؟

فأبو فراس يتحدث إلى النجوم الحائرة في السماء ، ونفس
الشاعر لما كانت عابسة غير مستقرة على حال رأت النجوم في
حركتها وكأنها حائرة . فالشاعر يضي نفسه على الطبيعة أمامه .
وقد استلهم الشعراء في العصر الحديث هذه الصور الجميلة

(١) السابق ص ٢٧٥ .

وصاغوها في قصائد كاملة ، كمطران في القصيدة التي يتحدث فيها إلى الصخرة ، وقد انتابها الموج ثم يشكو أبو فراس لهذه النجوم ما أصابه من ألم الأسر ، ويصور نفسه بأنه دائم السهر يتسلى بمراقبة النجوم وحركتها في المساء لعله يجد فيها ما يهدي نفسه الحائرة العابسة ، فهو يعيش في حالة ضلال ويأس وكيف لا؟! وهو يبحث عن مخرج من هذا الأسر اللعين، فهو يرى النجوم تواسيه أحزانه بل تشاركه شكواه وهمومه ، وتزداد الروح الرومانسية في مشاركة الطبيعة ، حيث جعل من النجوم فتاة تبكي عليه ، فهذه مشاركة وجدانية رقيقة من شاعر أسير .

وكما اتجه إلى النجوم نظر إلى السحاب ليتحدث إليه ، ويشكو همومه يقول أبو فراس (١) :

وعارضني السحابُ فقلتُ مهلاً فإني من دموعي في سحاب
وأنت إذا سكبت سكبت وقتاً ودمعي كلَّ وقت في انسكاب
فهبك صدقت : دمعك مثلُ دمعي فهل بك في الجوانح مثلُ ما بي؟

فهذه الطبيعة الخالدة أمام الشعراء يرى فيها كل شاعر ما يجول بخواطره وما تشعر به نفسه ، ويتجه أبو فراس إلى السحاب ويخاطبه بأن يتمهل ؛ لأن دموع الشاعر في سحاب وعيونه أيضاً

(١) الديوان ص ٥٧ ، ٥٨ .

نحمله بالسحاب وتجوّد بالدموع وبغزارة وبرغم أن السحابة تمطر في وقت معين ، ثم تكف أمام دموع الشاعر فلا تجف ولا تكف ، ولعل السبب في ذلك أن السحاب لا تحمل ما يحمله الشاعر من الآلام والأسر ، فالشاعر قد عقد مقارنة بين عينية والسحاب .

فعيناه تحملان الدموع الغزيرة والتي يكثر هطلها عند الشعور بالحزن والألم فألم الفراق وألم الأسر والبعد عن الأهل والبعد عن الحروب . كلما تذكر الشاعر كل هذا هطلت دموعه ، وحينما يتحدث عن السحاب فيصف السحاب بأن أمطاره برغم كثرتها فإنها ليست في غزارتها مثل دموعه لما يحمله من آلام .

فالمقارنة واضحة بين الاثنين عين الشاعر والسحاب في السماء ، وهذه الصور التوضيحية من أجمل الصور المبتكرة في العصر العباسي الثاني والتي تعبر عن نفس ملتاعة ساخطة .

الشكوى إلى الليل :

ومن أرق أشعاره أيضاً ما جاء في شكواه إلى الليل ، يقول أبو فراس مخاطباً الليل (١) :

يا ليل ما أغفل عما بي حبائبي فيك وأحبابي

يا ليل نام الناس عن موضع ناء على مضجعه نابي

(١) الديوان ص ٥٧ .

هبّت له ریح شاميةً متّت إلى القلب بأسباب

أدت رسالات حبيب لنا فهمتها من بين أصحابي

ومع تلك الرقة والعذوبة يخلق بنا شاعرنا في عالم الرومانسية ، رومانسية الخواطر والتعبير عنها ، فهذا الليل يشارك الشاعر الأحزان . والشاعر يخاطبه بأنه لا يغفل عن الآلام التي هي عنده بمثابة . والليل بهدونه وسكونه والظلام في الليل البهيم يبعث في قلب الشاعر الوحشة ، ويقلّب عليه خواطره ، فيرى كل شيء أمامه مظلم والشعاع الوحيد الذي ينير له الحياة رؤية أحبائه في الليل .

وهو يشكو إلى الليل بُعد الأوبة ، فالليل غالباً ما يهرب إليه الشعراء ، يشعرون بالوحدة في ظل الظلام الدامس فهو مصدر حزن وألم وشكوى ، ومع أنه رهين السجن الرومي إلا أن هواء الشام يهب عليه برواحه الزكية ، يعيش في السجن الرومي بجسده وروحه وعشقه مع الشام جسد سجين الروم بنفس وروح شامية .

وكما شكّا إلى الطبيعة ببعض مفرداتها كالليل والنجوم والسحاب شكّا أيضاً من الجهلاء ومن اللئام .

قال في شكواه من الجهلاء (١) :

(١) الديوان ص ٢٨١ .

إذا كان فضلي لا أسوِّغ نفعه فافضل عندي أن أرى غير فاضل

ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل يجوز على حوائها حكم جاهل

فأبو فراس يرى أن فضله إذا كان غير نافع ومن الفضل أن يراه الناس غير فاضل ، ومن الأدهى على البشر أن تكون مهجة العاقل يتحكم فيها جاهل (كالهراً يحكي انتفاخاً صولة الأسد) ومن ثم لا خير في هذه الحياة حينما يتحكم الجهلاء بأهل العقل والمشورة . والجهل إذا ساد مجتمعاً تكون نهايته الخراب والتخلف . فما أقبح أن يتحكم الجاهل في حياة العقلاء .

ثم وجه شكواه أيضاً إلى بعض الكارهين له في المجتمع .. يقول أبو فراس في ذلك (١) :

إلى الله أشكو عصبه من عشيرتي يسيئون لي بالقول غيباً ومشهداً

وإن حاربوا كنت المجنّ أمامهم وإن ضاربوا كنت المهند واليدا

وإن ناب خطب أو ألمت مليمّة جعلت لهم نفسي وما ملكت فدا

يودون ألا يبصروني سفاهة ولو غبت عن أمر تركتهم سدى

فأبو فراس في هذه الأبيات يشكو من هؤلاء اللئام الذين يضمرون له الكراهية ، فهم عصبه ينالون من سيرته في الغيب والمشهد ، ويفتخر بنفسه ساعة النزال فهو المهند الذي يدفع

(١) الديوان ص ٨٥ .

بنفسه حامياً لهم ، وكذلك هو الحسام الذي يحاربون به ، وفي ذلك دلالة على حمايته لأهله رغم ما يضمرون له من الكراهية . ثم يتحدث عن وقت نزول المصيبة وكيف أنه يجعل من نفسه الفداء الذي يقدم بنفسه قرباناً لأجل الآخرين ، ومع كل ما يتمتع به من شخصيته إلا أنهم لا يودون رؤيته . وكقول المتنبي (١) :

إذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكته وإن أنت أكرمتَ اللئيمَ تمرّدًا

وهكذا الشاعر يرسم لنا صورتين عن معاملة اللئيم ، ومعاملة الجاهل وكلاهما شر في المجتمع بل بلاء .
والشكوى عند أبي فراس تخرج من أعماق قلبه لتعبر عن نفس حكيم مجرب في الحياة عرف الحياة في حريتها وفي قيودها عرفها أميراً وشاعراً . وهو مقيد بأغلال الأسر بعدما كان فارساً يهابه الأعداء حتى لحظة الأسر نظروا إليه وهو الفارس الشجاع .
ومع كل ما سردته فإن الشاعر لم يكن ليشكو الدهر كغيره من شعراء عصره أو من سبقوه ، وهذا راجع إلى قوة إيمانه ورضاه بقدر الله . وإن طالبت الشكوى في شعره كرد فعل لنفسيته العابسة .
وأخيراً .. إن الشكوى عند أبي فراس فن وجداني عاطفي مؤثر تراه لا يشكو الدهر أبداً في شعره ولا يعيب على الأيام أن أوقعته في برائن الأسر والسجن بل كانت قوة إيمانه سدا مانعاً ، وإنما كانت شكواه من الأصدقاء والأقارب بجانب أعدائه ، وقد تميز

(١) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٢ / ١١ .

غرض الشكوى عند أبي فراس بمزجه بغرض الفخر ، وهذا تعبير
عما في نفسه .

وكثيراً ما يقال إن النعمة قد تكون نعمة ، وهكذا كان الأسر
نقمة على الشاعر نعمة على الشعر العربي .

وإلى هنا نكون قد استعرضنا أهم ما جاء من مظاهر شعر
الفسية الساخطة كما عكسها لنا الرومات ، وننتقل الآن إلى
معالجة بعض القيم الجمالية التي احتوتها روميته .

الدااسة الفنية

أولاً : اللغة والأساليب .

ثانياً : الخواطر والمعاني .

ثالثاً : العاطفة .

رابعاً : الصورة الشعرية .

خامساً : الموسيقى .

سادساً : النزعة الدرامية .

أولاً : اللغة والأساليب

جاءت اللغة في روميات أبي فراس قوية تعتمد على المفردات العربية الأصيلة لذا حفل معجمه الشعري بالمفردات التي يفيد منها دارسو اللغة العربية .

وقد (عني البلاغيون بحسن اللفظ وجودة السبك ، ويكاد ينحصر جهدهم في هذا الميدان ، وذلك أن جل الأديباء والنقاد رأوا في الافتنان في الحلية اللفظية المجال الأكبر للتجديد إيماناً منهم بأن الأولين استغرقوا المعاني أو أتوا على معظمها) (١) .

واللغة عند الشاعر تكون كرموز للفكر ، وأبو فراس قد استخدم تلك المفردات لتعبير عن مدى معاناة الشاعر في سجنه بجانب الأغراض الأخرى ، كالفخر والمديح .

كما أننا نلاحظ أن الشاعر قد استخدم مفردات غريبة بكثرة تراها في مسميات البلدان الرومية ، وقد استطاع أبو فراس أن يطوع هذه المفردات إلى لغة شاعرية لا تشعر فيها بغرابة ، كذلك استطاع أن يطوعها كلغة جديدة تستطيع أن تفك شفرتها لتظهر من خلالها الرموز التي أرادها الشاعر ، من هذه المفردات (منبج) فهي تعني أن للشاعر سجلاً عن كثرة انتصاراته على الروم . ويذكر أيضاً (خرشنة) و (القسطنطينية) عاصمة الكيان الرومي . وكذلك حمص وحلب وغير ذلك من المسميات ، كذلك أسماء الأشخاص مثل

(١) النقد الأدبي الحديث محمد غنيمي هلال دار نمضة مصر ص ٢٥١ .

: (قرغويه) و (أبي المعالي) . وما إلى ذلك من المسميات غير العربية ولا تشعر أبداً بالغرابة أو الشذوذ عند قراءتها ؛ لأنك أمام شاعر أرى أنه في الطبقة الأولى من شعراء العصر العباسي الثاني إذا ما قسمنا الشعراء العباسيين إلى طبقات . ومن ذكره لبعض المسميات يقول أبو فراس (١) :

فصل بردسا عنا أباك وصهره وسلّ آل برد اليس أعظمكم خطبا

وسل قرقواسا والشميشق صهره وسلّ سبطه " البطريق " أثبتكم قلبا

بردسا اسم والد الدمستق قائد الروم ، وبرد اليس : قوم وقيل اسم موضع . فالملاحظ أننا نقرأ البيتين ولا نشعر بغرابة ولا كسر في الوزن . مما يدل على مدى امتلاك الشاعر للغة العرب ، كما أن شاعرنا قد امتلك زمام اللغة القوية والمفردات المعبرة التي ارتبطت بأحاسيسه . فمفرداته تعبر عن مدى الآلام التي أصابت الشاعر في سجنه منها قوله (٢) :

مصابي جليل والعزاء جميل وظني بأن الله سوف يديل
جراح وأسر واشتياق وغربة أحملّ إنّي بعدها لحمول
وإنّي في هذا الصباح لصالح ولكن خطبي في الظلام جليل

(١) الديوان ص ٣١ .

(٢) السابق ص ٢٥٢ .

لقد استخدم الشاعر مفردات تعبر عن مدى ثقل الجراح التي نالته وهو أسير . فترى المفردات معبرة عن الفكرة العامة للقصيدة كذلك تراها مرتبطة ارتباطاً قوياً بالأحاسيس . كما في : (مصابي - جليل - جراح - أسر - حمول - خطبي - الظلام) .

فإذا ما تناولنا قصائد الروميات عامة وجدناها تسير على هذه الوتيرة .

الأساليب :

هذا وقد تميز أسلوب أبي فراس بالرقّة والجمال أحياناً وبالقوة والجزالة أحياناً أخرى على حسب الداعي لتجربته ، وجاء متنوعاً بين الخبر والإنشاء . والقارئ لروميّاته يلاحظ أن الأسلوب الإنشائي في روميّاته يدور حول طلبه من سيف الدولة أن يخلصه من الأسر .

فبعد أن تأخرت كتب سيف الدولة عنه وهو في أسره متمنياً عليه (1) :

أسيف العدى وقريع العرب	علام الجفأء ! وفيم الغضب !؟
وما بال كتبك قد أصبحت	تتكبني مع هذي الثكب
وأنت الكريم وأنت الحليم	وأنت العطوف وأنت الحذب

(1) الديوان ص ٢٤ .

فوجد أنه بدأ قصيدته بالأسلوب الإنشائي وقد نوع فيه .
فالبيت الأول جاء بصيغة النداء بالهمزة التي هي تفيد القرب والمودة
لسيف الدولة ، لاحظ (أسيف العرب) .

والغرض منه التعظيم ، ومع أنه بدأ قصيدته بالتعظيم
والإكبار لسيف الدولة ، فإننا نلاحظ فيه التمني أيضاً حيث يذكره بأنه
قريع العرب بكل ما تحمله الكلمة من السيادة العربية ، وبما يتميز به
كل أمير عربي من حب رجاله الذين يعملون في خدمته . وينتقل من
خلال البيت نفسه إلى الاستفهام ، فيسأل عن غضب سيده منه وسبب
الجفاء وعدم رغبته في تخليصه من أسر الروم . فهو يتمنى أن
يتخلص مما حل به من نكبات وفي القصيدة ذاتها يقول له (١) :

فلا تعذلنَّ — فداك ابن عم — ك لا بل غلامك — عما يجب

وأنصف فتاك فاتصافه من الفضل والشرف المكتسب

فهو بأسلوب النهي وغرضه التمني بعدم العدول عما يجب
عليه من تحريره من الأصل .

بأسلوب الأمر كذلك يتمنى عليه أن ينصف فتاه وهذا فضل
وشرف من الأمير له .

وفي قصيدة أخرى يقول (٢) :

(١) السابق ص ٢٦ .

(٢) الديوان ص ٥٠ .

فقل ما شئت في فلي لسان ملىء بالثناء عليك رطب

وعاملني بانصاف وظلم تجدني في الجميع كما تحب

وهنا يظهر في الفعل الأمر (فقل ما شئت) يعني الإباحة
فلأمير ما شاء من الكلام وهذا يعد تقديراً لسيف الدولة ، فهو لم
يهتم بكلام سيف الدولة مدحاً أو غيره ولكنه على حبه ووفائه دائماً .
ويكمل المعنى بأسلوب سلس (وعاملني) . وهذه المعاملة سواءً
أكانت بانصاف أو بظلم . فأبو فراس يتقبل أي الحكمين ، وهذه
إفاضة من الحب والوفاء .

ويلاحظ أيضاً على أسلوبه أنه يهتم بمادة (أنصف) وهنا
دعوة لسيف الدولة أن يهتم به حتى يخرج من سجنه .
وإذا ما تأملنا أسلوب البيت الثاني وإن كان مكرراً لقول آخر
:

أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة لدينا أن تقلت

وجدنا المعنى واحداً والغرض واحداً إلا أن الأول كان بينه
وبين محبوبته ، والثاني كان بين الشاعر وسيف الدولة وهو في
الأسر . أما الأول فهو في حالة عشق وحب لمحبوبته يستبيح منها
ما شاعت .

والمدقق لشعر أبي فراس يلاحظ عليه تقبله من سيف الدولة
ما شاء سيف الدولة وهذا يدل على حبه الشديد .

وكغيره من الشعراء العباسيين وشعراء الأندلس . وقد سمع
حمامة تنوح على شجرة عالية وهو أسير .. فقال (١) :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ! ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببالي
أتحمل محزون الفؤاد قوادم على غصن نائي المسافة عال ؟
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي

فما أجمل أن يمزج الشاعر بين الخبر والإنشاء ، فالخبر
يتمثل في : (أقول — قد ناحت حمامة — ذقت طارقة الهوى) وهذا
الأسلوب الخبري يؤكد مدى ثورة الشاعر على سجنه وعدم رغبته
في الاستمرار فيه .

وجاء الأسلوب الإنشائي في الأبيات متنوعاً من خلال :
(أيا جارتا — أتحمل محزون الفؤاد قوادم ؟ — تعالي)
تعددت مرة بالنداء ، وأخرى بالاستفهام ، وثالثة بالأمر ،
وجاء التنويع لإثارة الذهن وجذب الانتباه . مما يدل على قوة
الشاعرية والمزج ما بين العاطفة والأسلوب واستخدام التوكيد في
تكرار النداء " يا جارتا " .

(١) السابق ص ٢٨٢ .

ويذكرنا بأندلسية أمير الشعراء أحمد شوقي وهو في منفاه
وقد صبغ قصيدته بألوان الحزن والتحسر لفراق الوطن يقول أمير
الشعراء (١) :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

ماذا تقص علينا غير أن يداً قصت جناحك جالت في حواشينا

رمى بنا البين أياً غير سامرنا أذا الغريب وظلا غيرنا دينا

كل رمته النوى ريش الفراق لنا سهما وسل عليك البين سكيناً

مما يدل على رغبة الشعراء في الحوار مع الكائنات الأخرى
، ليبثوا أحزانهم وآلامهم .

وقد مزج الشاعر بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي ؛
لإثارة الأذهان وجذب الانتباه .

وحينما تشتد الأمور تعقيداً ، وهو لا يزال في سجنه ،
وتحاول أمه الوصول إلى سيف الدولة كي يفك أسرهِ ، ولكن هيهات
.. هيهات .. أن تصل إلى مرامها ، ويترامى الخبر إلى ذهن سيف
الدولة ، وما حاولت أمه فعله راح يكتب إلى سيف الدولة قائلاً
متحسراً (٢) :

(١) الشوقيات دار الكتاب العربي بيروت ١٠٤ / ٢ .

(٢) الديوان ص ٢٦٣ .

يا حسرة ما أكاد أحملها آخرها مزعج وأولها
عليلة بالشام مفردة بات بأيدي العدا معلها
تمسك أحشاءها على حرق تطفنها والهموم تشعلها
إذا اطمأنت وأين ؟ أو هدأت عنت لها ذكرة تفلقلها

فبدأ تجربته بأسلوب النداء ، وغرضه التحسر على ما هو فيه من الألم والحزن في هذا السجن اللعين ، إنه يتحسر على نفسه ، ثم يستفهم عن مكانه الأمن والأمان . ويتعجب من ذلك ، إذ لا أمن ولا أمان في ظل سجن يعيش فيه ، والأسلوب الإنشائي عند أبي فراس بمثابة التعبير عن ثورته التي قد تعكر عليه صفو حياته . ويزيد من تجربته الشعرية ارتباطاً بعواطفه ، كما تلاحظ في الأسلوبين (يا حسرة - أين ؟) .

ناهيك عن الأساليب الخبرية التي يعبر من خلالها عن أفكاره حقائق ثابتة لا تقبل الجدل ولا النقاش ، فهي إظهار لحالته النفسية الواقعية ، فيصور لنا حالة أمه العليلة الوحيدة ، وسبب علته بسجن ابنها ، ويصف حال أمه الذي هو من حاله بأن النيران تزداد في أحشائها كلما أطفئت زادت جذوتها . فيالله على قلب أم قد انفطر على وليدها الأسير ، لا تدري ماذا يُصنع به في أسره ، إن الحسرة وأي حسرة هذه التي تعيشها هذه الأم الكليمة ، نيران تتأجج ، وكلما انطفأت زادت جذوتها فما تفتأ أن تطمئن حتى تأتيها الذكرى فتعيد النيران مرة

أخرى .

والقارئ لأسلوب أبي فراس يلاحظ فيه أيضاً أنه يتميز بالسهولة بعيداً عن التعقيد . وتمكن أبي فراس من اللغة – كما قلت – إنه يعود إلى تلمذته على يد ابن خالويه ، فاخياره من الألفاظ يتناسب مع معانيه ومع أفكاره ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقصيدة كلها بلا تكلف ، فلا هو يضع الألفاظ كحشو أو زيادة في المعاني ، ولم يتصنع في اختيار الألفاظ .

وإذا ما قارنت بينه وبين شعراء آخرين لهم شهرة واسعة كأبي تمام ، تجد أبا فراس بعيداً كل البعد عن التكلف الذي تراه في شعر أبي تمام ، وبخاصة في كثرة المحسنات البديعية برغم أنه تتلمذ على أشعار أبي تمام . فالبديع في شعر أبي فراس يأتي طواعية بلا تكلف ولا تصنع ، وإذا ما نظرت إلى العاطفة وجدت الألفاظ تأتي ملائمة لها ، فهناك تلاؤم ما بين العاطفة والألفاظ – كما أسلفت – وكما رأينا صدق العاطفة ، في سائر شعره ، فإنها في الروميات أكثر صدقاً وأنبأ حساً . من ثم نستطيع أن نقول : إن شعر الروميات شعر مطبوع ، ولم يهتم فيه أبو فراس بالصنعة ، وذلك يرجع إلى ظروف الأسر التي تعرض لها ، وقد شغلته عن الاهتمام أو الانشغال بالصناعة اللفظية .. ومع ذلك ترى المحسنات من خلال أسلوبه تتميز بالحيوية .

وهذا الأسلوب الرائق الواضح دون تعقيد أو صنعة جعل ابن خلدون يقول في مقدمته :

(اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً أولها الحفظ

من جنسه أي من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب ، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين ، مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذي الرمة وجريـر وأبي نواس وحبيب والبحتري والرضي وأبي فراس (١) .

فلغة شاعرنا عربية أصيلة تدل على مدى ما يمتلكه من ثقافة واسعة . وقد سبق صراعه مع المتنبي في حضرة سيف الدولة ، وأظهر بعض السرقات عنده ، مما يعني أن أبا فراس يمتلك ثقافة واسعة . وعن أسلوب أبي فراس يقول الثعالبي : " شعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ومعه رداء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك " (٢)

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٥٧٤ .

(٢) بيتمة الدهر ص ٤٨/١ .

ثانياً : الخواطر والمعاني

دارت المعاني والخواطر في روميات أبي فراس الحمداني حول أمور عدة كغيره من الشعراء العباسيين ، لقد دارت خواطره حول معاني الفخر الذاتي والفخر القومي والرتاء والحكمة والشكوى والغربة والعتاب وامتزاج الغزل بالطبيعة وما أشبه ، وقد اتسمت معانيه وخواطره بالعمق والوضوح ، والبعد عما يكدُّ الذهن أو يرهق المتلقي في الوقوف على الدلالات والمقاصد ، وهذه الروميات التي نظمها في الأسر لدى الروم قد أضاف إليها خلجات نفسه التعسة، والحزن العميق ، وحزنه على ما كان يتمتع به من حرية وقيادة ، كذلك الفخر بما لديه من ذخيرة ماضية وبطولات معروفة ، هي تاج للحمدانيين ، ثم تظهر شفافياً روحه وحنينه إلى أمه العجوز ، وعتبه على سيف الدولة الذي ماطل في افتدائه رغم افتدائه لغيره .

ومن أجمل ما عبر عن فخره بنفسه وقت النزال يقول (١) :

عسى الله أن يأتي بخير فإن لي عوائد من نعماه غير بوائد

فكم شالني من قعر ظمأ لم يكن لينقذني من قعرها حشد حاشد

فإن عدت يوماً عاد للحرب والعلا وبذل الندى والجود، أكرم عائد (٢)

مريرٌ على الأعداء لكن جاره إلى خصب الأكناف عتب الموارد

(١) الديوان ص ١٠١ .

(٢) أكرم عائد : فاعل " عاد للحرب " .

فالمعاني عند الشاعر ترتبط بعواطفه وأحاسيسه ، ويختار
من الألفاظ ما يتناسب معها حتى يظهر هذه الجماليات المعنوية ، وقد
أظهرها في ثوب بهي أو قل حفظ المعاني داخل درر لفظية زاهية .

ثالثاً : العاطفة

التجربة الشعرية عند أبي فراس – وبخاصة في الروميات – تتميز بامتزاج ما بين الوفاء لسيدته سيف الدولة الحمداني . ومدى الكبرياء برغم أنه في الأسر .. يقول أبو فراس الحمداني (١) :

وما أنا بالبأغي على الحبّ رشوةً ضعيف هوىً يبغى عليه ثوابُ
وقد كنت أخشى الهجرَ والشملُ جامعٌ وفي كل يوم لقيه وخطابُ
فكيف وفيما بيننا ملكٌ قيصرٌ وللبحر حولي زخرةٌ وعُبابُ

ومن خلال هذه الأبيات (تختلط التجربة الشعورية بالتجربة العقلية ، فتنهض الرسالة بما أراد الشاعر ، وينتصر الوفاء والكبرياء على نقطة الضعف في الفتى الأسير أمام ولي النعمة والأب الروحي دون أن ينتقد مكانته عنده بالخروج نهائياً من دائرة أخلاقه ومناقبه إلى دائرة الاستلهاب) (٢) .

فعاطفة الحسرة قد تلاشت من هذه الأبيات ، بل يظهر الحزن على خجل، وهو حزنه على بعده عن سيف الدولة ويتمنى لقياه دوماً . والعتاب يأتي في صورة رائعة رامزة إلى نبيل سيف الدولة ، وفيض عطائه .

ومع كل هذا قد تظهر عاطفة الشاعر المتأثرة بالأسر ، ولم ينس أن يجمع ما بين حزنه في الأسر ، وحزنه لفراق سيف الدولة

(١) الديوان ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) الموسوعة الأدبية ص ٨٩ .

.. يقول أبو فراس (١) :

إن في الأسر لَصَبًا دمعه في الخدَّ صبَّ
هو في الروم مقيم وله في الشام قلبُ
مَسِجِدٌ لَمْ يُصَادَفْ عوضاً عن يُجِيبُ

فكل ما يحزن الشاعر هو فراقه لسيف الدولة ، فقد تزاممت
العواطف الجياشة أمام معانيه وحبه لسيف الدولة ، فترى الدموع
تنهال على خده ، ويتذكر قلب سيف الدولة ، وما يحزنه فراقه وعدم
وجوده يعوضه عن بعده لسيف الدولة .

وقال مفتخراً بعد أن قالت الروم ما أسرنا أحداً لم يسلب
سلاحه غير أبي فراس وبقي عليه ثيابه وفرسه أيضاً .. قال قصيدة
مطلعها (٢) :

أراك عصيَ الدمعِ شيمتك الصبرُ أما للهوى تهَيَّ عليك ولا أمرُ
بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سرُّ
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذلتُ دمعاً من خلائقه الكبرُ
تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أنكتها الصباة والفكرُ

(في الواقع هذه القصيدة ليست غزلاً محصناً ، ولا هي فخر
محض ، إنها صورة ذكريات تبريرية لنفس عالقة على مشارف مجد
مفقود وسعادة مأسورة ، وما الحسنة التي يحاورها الشاعر متغزلاً

(١) الديوان ص ٤٨ .

(٢) الديوان ص ١٦٢ .

سوى رمز من رموز شامخة ، وفتوته وهامشيته للجمال الأبدي أيام
كان فتى طليق الجناحين يثير حوله إعجاب الرجال والنساء على
السواء ، ويتوثب حائراً يشرب في القصيدة إلى تلك الذرى مع أنه
يقع في حضيض البؤس) (١) .

ففي عاطفة الشاعر نلاحظ الحزن والأسى الذي يضوع في
جوانحه . فتأبى دموعه أن تذرف لغيره ؛ لأنه يعيش في كبرياء
وإباء وصبر . فمهما كان الشوق ومهما كانت اللوعة فإن الشاعر
عنده القدرة على التماسك والتجدد وإخفاء هذه اللوعة ، وذلك قمة
التعبير عن قوة التحكم في النفس البشرية .

فالشاعر يعلم تماماً الدواء والعلاج ، وما الذي يزيد من هذه
اللوعة ، فيعدّ الصبابة والفكر هما اللذان يزيدان من النار المتأججة
بين ضلوعه .

بينما تظهر عاطفة الحزن صارخة حينما تشتد العلل وتتأزم
الأمر نراه يقول مثلاً (٢) :

هل تعطفان على العليل؟	لا بالأسير ولا بالقتيل
باتت تقلبه الأكم	ف سحابة الليل الطويل
يرعى النجوم السائرا	ت من الطلوع إلى الأقول
فقد الضيوف مكاتة	وبكاه أبناء السبيل

فهنا تسيطر على الشاعر عاطفة الحزن والأسى ، وهذه

(١) أبو فراس فتوة ورومانسية ص ٢١ .

(٢) الديوان ص ٢٧٣ .

العاطفة ظاهرة في تمنيه العطف على ما به من علة ، ويصور ليله بالترقب لتلك النجوم السائرة ، يترقبها منذ طلوعها وحتى أفولها . فالليل عند شاعرنا بكل معطياته من الظلمة والسحب والنجوم يظهر أمام الشاعر في صورة العلة والحزن ، ومع ذلك لا يجد الشاعر شيئاً سوى تعلقه بالنجوم وترقب حركتها . فأى ليل هذا الذي ينظر إليه أبو فراس ، إنه ليل الوحشة والظلام والنجوم التي باتت تشاركه الأحزان ، وما زال الليل عند شعرائنا منذ الجاهلية يشاركهم في أحزانهم ، والنجوم تسهر تواسيهم وتشاركهم ما بهم من علل وأتراح فما أقسى ساعات الليل الطويل الذي يثير الأحزان ! ولم ينس الشاعر أن يعبر عن رفاق دربه بقوله :

" فقد الضيوف مكانه "

فالضيوف هم الذين افتقدوه ، وهنا اعتزاز بالذات وكأن الناس في حاجة إليه وإلى وجوده بينهم ، وأما أبناء السبيل فقد بكوه ، وقد لا يعرفونه ، كل هذه الأحاسيس التي يعبر من خلالها الشاعر ، وهذه العواطف التي تتأجج في قلب شاعرنا من خلال ألفاظه : " تعطفان - العليل - القتيل - الليل - الأفول .. فقد بكاه ... " .

كل هذه الألفاظ استخدمها الشاعر لإظهار عاطفة الحزن والأسى . ونلاحظه كذلك في الألوان البيانية من خلال يرعى النجوم . وكان النجوم هي الشيء الذي يخفف آلامه وأحزانه فبات يرعاها

عسى أن تخفف آلامه ، وتسكن أحزانه من خلال هذا السجن
البعيظ ، سجن الفارس الشجاع .

رابعاً : الصورة الشعرية

الصورة الشعرية جاءت لتتخذ من الأدوات (اللفظ – العبارة – الأدوات الموسيقية) تشكيلة ممتزجة متكاملة لتعبر في النهاية عما يصبو إليه الشاعر من معنى .

والصورة الشعرية تأتي على نوعين . النوع الأول ما هو معروف منذ العصر الجاهلي ، وهي الصورة الجزئية (تشبيه – استعارة – كناية – مجاز) وهذه الصورة (صورة جزئية متنوعة يبنها الشاعر غالباً بناءً تشبيهاً ، ويحشدها حشداً في قصائده ليعبر من خلال هذا الحشد عن معنى بعينه يتكرر في أبيات هذا الجزء أو ذاك من أجزاء القصيدة) (١) التي تأتي لتظهر خيال الشاعر .

والنوع الثاني : الصورة الكلية . ويطلق عليه أيضاً الصورة الفنية : وهي عبارة عن لوحة فنية متكاملة الأجزاء والعناصر والأبعاد . ولم يعتمد عليها الشعراء الجاهليون في شعرهم ، وإن جاءت خاطراً عندهم .

أما شاعرنا فإن الصورة الشعرية لديه غالباً ما كانت تأخذ شكل اللوحة الفنية المرتكزة على عدة صور جزئية متضافرة تقوم في النهاية بتجسيد فكرة عامة ، ولو نظرنا إلى رائيته – التي تُعد من أجمل درره الشعرية – لوجدناها تحتشد بالكثير من الصور الجزئية الحافلة بألوان بيانية شتى ، لناخذ مثلاً هذه الأبيات .

(١) الشعر الجاهلي قضايا فنية وموضوعية د . إبراهيم عبد الرحمن ص ١٨٢ .

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سر
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذلت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أنكتها الصباية والفكر

هذه الأبيات الشهيرة من أجمل ما صدح به فارس العربية أبو فراس الحمداني . وقد تضافرت فيها كثير من الألوان البيانية الكثيرة لتعبر لنا عن لوحة متكاملة . وسوف أعرض أولاً للألوان البيانية :

* أراك عصي الدمع : هذه الصورة كناية عما يمتلكه الشاعر من الصبر والأنفة والاعتزاز بالنفس ، ويقصد بهذا الدمع ، حياة العذاب والبؤس في سجنه ، لا دمع المآقي فقد استخدم لفظ (الدمع) هنا ليرمز به عن حزنه وألمه .

*أما للهوى نهى : صورة قديمة كعادة الشعراء السابقين حيث صور الهوى بإنسان ينهي ويأمر ثم حذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية ، وقد استخدم الشاعر فهيا التشخيص .

*لا يذاع له سر : كناية عن اعتزازه بنفسه وأنفته وصبره على ما هو فيه من العذاب النفسي بسبب السجن .

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذلت دمعاً من خلائقه الكبر

* ففي عدة صور جزئية كلها استعارات مكنية التجسيد في "

الليل أضواني " ، والتشخيص في قوله : " أذلت دمعاً " .

* تكاد تضىء النار : من قبل الاستعارة التصريحية ؛ لأنه
صور الحزن بالنار ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به ليظهر مدى
الألم الذي يسيطر على نفسه .

وهذه الصور الجزئية المشتبكة كونت لنا ما يسمى الآن
باللوحة الفنية المتكاملة .

ولا ننسى أن هذه اللوحة الفنية المتكاملة قد ظهرت ولمعت
من خلال الحوار الممتع الذي استخدمه الشاعر لينبئ عن شاعرية
حقيقية . وقد استخدم الحوار من بداية قصيدته بينه وبين من يحب .
وهذا الحوار الممتع أشاع في القصيدة أجواء الحركة والحيوية
ومزيداً من القلق والتوتر الذين صاعداً من درامية القصيدة .
وهذه الكلية المتكاملة اعتمدت في أجزائها على نفسه وعلى
مخاطبة - الليل - الدمع - النار .

كذلك جاءت العناصر متمثلة في (الصوت - اللون - الحركة) .
أولاً : نسمع الصوت في المفردات الآتية : (نهى - أمر -
يذاع) ... إلخ .
ثانياً : أما اللون فنراه في المفردات الآتية : (الليل - تضىء -
النار) ... إلخ .
ثالثاً : تمثلت الحركة في المفردات الآتية : (عصي - بسطت -
أذكتها) ... إلخ .

وكان الحوار في هذه الصورة المتكاملة العناصر دائراً بين
الشاعر وبين من يجب ، فترى من خلال صورة الحوار شاعراً

يرفض دمه أن يتقطر ، والكلام لا يذاع الأسرار ، ولا النار تتأجج بين ضلوعه ثم يخلو بنفسه، ويذللها لتدمع .

وهكذا تضافرت الصور الجزئية لصنع لوحة فنية متكاملة الأبعاد والأجزاء والعناصر ، وحتى تظهر تجربة الشاعر مكتملة كان عليه أن يوظف الصورة الفنية بالشكلين الكلي والجزئي (فالصورة الكبيرة ذات الأجزاء هي بدورها صور جزئية تقوم من الصور الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي) (١) .

ولأن هذه الصورة الشعرية المتكاملة تشكل جانباً حيويماً في التجربة الشعرية ، فقد اهتم النقاد العرب بها قديماً وحديثاً ، ومن ثم وجدوا أن التجربة الشعرية هي التي تعبر عن وحدتين : وحدة الشعور ، ووحدة الفكر اللتين من خلالهما تتكون ما يسمى في عصرنا الحديث (الوحدة الفنية) وإن عرف القدماء ما يسمى بالوحدة الموضوعية ، رغم تعدد أغراض القصيدة الواحدة لعاداتهم قديماً السير على هذا النهج .

وهذه الصور الشعرية تجعل الشاعر يتخير تعبيراته ، ويسمو بها كي تتلاءم مع أدواته الشعرية لتعبر عن أحاسيسه ، كذلك تعبر عن كيفية تناول الشاعر المرئيات والوجدانيات في محاولة لنقل تجربته إلى القارئ لإثارة مشاعره وانفعالاته واعتماد الشاعر

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد د . علي صبح ص ١٣١ .

فيها على الخيال يجعلها أقدر على التمييز والتأثير من الكلمات
المجردة (١) .

والقصيدة التي نحن بصددنا تطالعنا بعدد وفير من الصور
البيانية التي تستحق الدراسة . ومع شدة إعجابنا بهذه الصور
الجزئية أو اللوحات الفنية المتكاملة إلا أننا نرى بعض الصور
الجزئية كغيرها عند الشعراء ، لا تحتاج إلى مزيد من التمعن والفكر
، وهناك صور أخرى تشد شعورك بمجرد قراءتها . فمنها صور
تميل إلى الرمز كما رأيتها في : (أراك عصي الدمع) .

فهو لا يتحدث عن الدموع التي تذرف من المآقي بل يتحدث
عما وراء ذلك من الكبر والأنفة والاعتزاز بالنفس .

ومع إعجابنا بهذه الصور فإنه لا يروق لنا فهيا بعض الصور
والأفكار والعواطف التي تنحو منحى ذاتياً أنانياً قد دعا في لوحة
تالية إلى دعوة غير كريمة منه إذ يقول في البيت التالي كقوله مثلاً
(٢) :

مغلتي بالوصل والموت دونه إذا مت ظمناً فلا تزل القطر

فنحن أمام دعوة غير كريمة ، لأن الخير الذي حرم منه
يتمنى أن لا يصل إلى جميع الناس . وهذا لا يجوز من شاعرنا وهو
شاعر يدعو إلى المثالية ، فالمعقول أن يتمنى الخير للجميع ، تأمل

(١) من صحائف النقد الأدبي الحديث د . عبد الوارث الحداد ص ٢٨٣ .

(٢) الديوان ص ١٦٢ .

قوله : (إذا مت ظمناً فلا نزل القطر) أين هو من إنسانية أبي

العلاء المعري الواضحة في قوله :

فلا هطلت على ولا بأرضي سحاب ليس تنتظم البلاد

بجانب هذه اللوحة الفنية استخدم أبو فراس الأساليب الإنشائية ذات الحيوية الناصعة . (أما للهوى نهى عليك ولا أمر) ، فالغرض منه التعجب ؛ ليزيد أبياته جمالاً وحيوية ورونقاً . فالعبارات في تلك المقطوعة ذات النغم الصافي عبرت تعبيراً صادقاً عما في داخل الشاعر ، فهو يكشف عن نفسيته منذ بداية قصيدته ، ويتحكم في نفسه تحكماً حيويًا . فهل هناك أكثر مما يكتم عواطفه ؟ لأنه يؤمن بعزة النفس والكرامة الذاتية ، فمهما بدأ قصيدته بتجاهل محبوبته له وعدم اهتمامها به ، نرى إظهار ذلك ، وينتهي الأمر إلى حالة اليأس والقنوط . وما جعله يذهب هذا المذهب إلا حالته النفسية التي يعيشها وسط زحام اليأس واليأس داخل سجنه ، ووسط جدران الكئيبة ، فتضافرت حالته النفسية مع كل أدوات التجربة ؛ وفاضت في حوارها مع محبوبته ، إلى أن ينتقل إلى غرض آخر في القصيدة ، وهو الفخر بالذات .

وإليك لوحة فنية أخرى بدأها بقوله :

* يا حسرة ما أكادُ أحميها *

يقول ابن خلدون (١) : (ولما طال الأمر على والدته خرجت

(١) الديوان ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

من " منبج " إلى " حلب " وراستت سيف الدولة ووافق ذلك أن
البطارقة قُيدوا بحلب فقُيد أبو فراس بخرشنة ورأت الأمر قد عظم
فاعتلت من الحسرة ، فبلغ ذلك أبا فراس فكتب إلى سيد الدولة
بهذا) .

فقال :

عليّة بالشّام مفردة	بات بأيدي العدا معلّها
ثمّسك أحشائها على حُرق	تُظفنها والهجوم تشعلها
إذا اطمأنت وأين ؟ أو هدأت	عنت لها نكرة تُقلّلها
تسأل عنا الركبان جاهدة	بأدمع ما تكاد تمهلها

والشاعر قد أحسن تقمص الشخصيات والحديث على لسان
الغير ، ففي قصيدته (أراك عصي الدمع) أيضاً يتحدث عن أمه
فيتقمص شخصيتها ، ويتحدث عنها يقول الشاعر محمد إبراهيم أبو
سنة في ذلك : " وكان الشاعر الذي أنزع هذا الصوت قد عاد ليوهمنا
بأنه صوتها حقيقة لا مجازاً ليس صوتاً فنياً داخل القصيدة ، ولكنه
صوت داعم مجلجل فوق الأودية) (١) .

وقضية الأم هنا قضية المرأة الضعيفة الحزينة لبعدها ولدها
عنها ، فمهما وصلت على حالة الهدوء يأتي تذكراها لابنها الذي
يقلقل مشاعرهما ، فهي لا تعرف الطمأنينة التي يتمتع بها الناس ،
فهيهات لها ذلك وابنها في الأسر عند أعداء الدين والوطن وهو من
هو في الفروسية ، على أية حال تحفل القصيدة بالعديد من الصور

(١) دراسات في الشعر العربي ص ٥٠ .

الشعرية الرائعة والموحية والرامية في جانب لا بأس به ، نذكر من ذلك ما جاء في قوله :

تمسك أحشاءها : وهي كناية عن مدى الألم والحزن (والهموم تشعلها) استعارة يصور من خلالها الشاعر ما تعنيه الأم ، وهذه الهموم التي تزيد نار الأم اشتعالاً ، فلا تكاد تحاول أن تطفى النار التي في أحشائها . فترى الهموم تزيدها اشتعالاً ، وهذه هي الروح العابسة عند الشعراء حتى في شعرنا الحديث ، وبخاصة عند مدرسة أبو لؤلؤ الذين رضوا بالتضحية من أجل الآخرين ورضوا أن يعيشوا في الحزن والعبس .

و (عنت لها ذكرة) استعارة مكنية صور الذكرة بشيء يلوم للأم العابسة العليلة . فكلمة رأيت الاطمئنان جاءت الذكرة لتأجج عواطف هذه الأم الكليمة ، وقد استطاع الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يصور لنا :

أولاً : الأم العليلة بسبب أسر ابنها في قيود وأغلال أعدائه الذين طالما جال فيهم ضرباً بسيفه .

ثانياً : تصوير معاناة الأم وظهور همومها ، وكلما حاولت أو أرادت أن تخدمها جدّ عليها ما يعكر صفوها أو قل ما يزيدها اشتعالاً مرة أخرى ، وهنا يظهر التشخيص للهموم في صورة إنسان شرس لا يعرف قلبه الإحساس لا يعبأ إلا بزيادة النيران بين أحشائها فتزداد الأم هموماً ويأساً .

ثالثاً : تظهر لنا صورة ثالثة صورة الاضطراب مع الأم التي تتشخص أمامها الذكريات فتتهز كيائها ورتابة حياتها التي كانت قد تعودت عليها بظهور ابنها معها في كل لحظة .
رابعاً : الدموع التي تظهر وكأنها إنسان يعطف على الأم العليلية ليسكن آلامها ويحن على قلبها الكليم .

وهذه الصور الأربع التي ظهرت أمامنا تصور لوحة فنية متكاملة محورها الأم الكليمة (الأم العليلية المفجوعة – الهموم – الدموع – الأعداء – الأسر – الذكرى – الأمانى – الحرية)

وهي لوحة جميلة تتميز بالرشاقة والحيوية والتي قد عودنا الشاعر عليها من خلال روميته ، وقد توافرت فيها عناصر الحركة والصوت واللون .

وتظهر الحركة من خلال الألفاظ :

(تمسك) فهيهات لأم تمسك بأحشائها . وكذلك في كلمات (تطفئ – تقلق – جاهدة) كل هذه المفردات تشعرك بمدى الحركة في هذه الصورة الفنية المتكاملة .

أما عنصر اللون فنراه من خلال الكلمات (تقلقها – الدموع – أحشاءها – حرق – تشعلها) .

وكلمة (تقلقها) : يظهر على وجه الأم الضعيفة العليلية لبعده ولدها عنها ، فقد تغير لونها من الصحة إلى المرض بسبب أسر ولدها . ففرق بين الصحة والعلة . كذلك في الدموع التي تبرهن عن شدة الألم والحرق ، فتثار الدموع معبرة عن تلك الآلام والأحزان .

وكلمة (تشعلها) : على أنها تأتي بعد تطفئها مما يتضح عليها من المغايرة النفسية بين الإطفاء والإشعال .

كذلك كلمة (أحشاء) والتي يعدها النقاد كلمة غير شاعرية إلا أن من الصعب أن نجد كلمة تحل محلها ، فهي معبرة في مكانها إذ تظهر ما بداخل الأم الكليمة . من اضطرابات غير تلك التي توجد على عواطفها .

والثالث عنر الصوت : الذي يتجلى من خلال الكلمات (تقلقل – تسأل – ...) .

فالقلقلة ينتج عنها صوت إثر الحركات المضطربة من الأصوات .

و (تسأل) فالسؤال يكون بالحديث والقول . والصوت هنا صوت الأم العليلة

هذه العناصر المكونة من اللون والحركة والصوت أعطت اللوحة الفنية شكلاً بهياً أنيقاً جعل فيها الحركة الرشيقة والألوان الجميلة اللامعة والأصوات المعبرة عن مراد الشاعر ، وتُظهر مدى إحساسه وتصوراتهِ لحالة أمه الحزينة الكليمة .

فالصوت : ظهر ملائماً لهذه العاطفة الحزينة (تسأل) فالحزن يتطلب السؤال عن وليدها .

واللون : يطبع الألم والحزن على جبين الأم العجوة الجناح – المهیضة .

والحركة : توفر الرشاقة والحيوية للأبيات ، وتشيع أجواء
التطلع إلى الخلاص ، وتوفير الحرية للفارس الأسير .
من ثم نقول إن وجود مثل هذه اللوحات الفنية التي تضافرت
فيها الصور الجزئية ، وتناغمت وتفاعلت فيما بينها حتى كونتها ،
إنما يكشف لنا ذلك كله عمّا يتمتع به أبو فراس الحمداني من
شاعرية ثرية ، وعقلية ناضجة قادرة على التصوير الحسي
والتصوير المعنوي . وجعل الشعر ذا روح وذا حيوية فائقة . وألوان
معبرة عن غرض القصيدة . كذلك أظهر لنا الأصوات الملائمة
لموضوع روميته التي نلمس فيها التعبير عن النفسية الساخطة
للشاعر .

خامساً : الموسيقى في الروميات

بات من المعلوم أن أبا فراس عانى في أسره معاناة شديدة نتلمسها من خلال قصائده الرومية ، وفي كل قصيدة من قصائده يصور لنا نفسه العابسة وأتراحه البائسة وأضفى ذلك على موسيقى شعره فبات الرجل ينسج على نوله ما يعبر به عن نفسه وصار يعزف على قيثارته إيقاعات العيس والأحزان ، فاستخدم القيثارة لكل قصيدة أو ما تلمسه منها للتعبير عن ذاته .

وهذه الموسيقى يقصد بها (الوزن والقافية) وقد نوع الشاعر من خلال روميته في بحور شعرية مختلفة ما بين بحور ذات تفعيلة طويلة أو قصيرة .

وقد استخدم أبو فراس تسعة بحور شعرية مختلفة وهي مرتبة على حسب كثرة القصائد :

(الطويل – الكامل – الوافر – السريع – البسيط – الخفيف – المتقارب – المنسرح – الرمل)

وقد احتلت موسيقى بحر الطويل العدد الأكبر من القصائد تبعاً لنسخة الديوان الذي معي وعدد القصائد :

ومن الإحصاء أيضاً نلاحظ أن أكثر قصائده من البحور ذات الجرس الطويل كالبحر الطويل والكامل والوافر ثم الرمل والمنسرح .
ونلاحظ كذلك من استخدامه للبحور الطويلة :

أولاً - أن الشاعر سار كغيره من شعراء عصره على هدي القواعد العروضية التي أسسها الخليل بن أحمد الفراهيدي وهذا أمر بدهي .

ثانياً - استخدام الشاعر بحر الطويل ثم الكامل واحتلال الطويل المرتبة الأولى يدلنا على شخصية أبي فراس . فهو صاحب شخصية ذات عزة وأنفة عالية ينظر دوماً للأعلى .

ثالثاً - كثرة الروميات قصائده من بحر الطويل نجد له ما يبررها لدى النقاد .. يقول الدكتور / إبراهيم أنيس عن بحر الطويل وكثرة استخدامه في الشعر العربي :

(إذا قورنت هذه النسبة بعضها ببعض استطعنا الحكم بسهولة على أن البحر الطويل قد نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي ، وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ، ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم ، ولا سيما الأغراض الجديدة الجليلة الشأن ، ثم ترى كلا من الكامل والبسيط يحتل المرتبة الثانية في نسبة الشيعوع وربما جاء بعدهما كل من الوافر والخفيف ، وتلك هي البحور الخمسة التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ يطرقها كل الشعراء، ويكثرون النظم فيها ، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية) (١) .

وهذا بالفعل ما نسج على منواله أبو فراس الحمداني في روميته . ولكنه زاد من البحور الأخرى لوفرة قصائده الرومية .

(١) موسيقى الشعر العربي د . إبراهيم أنيس ط دار المعارف مصر ص ١٩١ .

وتذكر أن قصيدته (يا حسرة ما أكاد أحملها) . وقد عزفها
على قيثارته واختار لها بحراً من البحور الطوال وهو بحر (
المنسرح) وتفعيلاته .

(مستعلن مفعولات مستعلن)

وتعد هذه القصيدة واحدة من أروع القصائد الرومية التي
شدا بها أبو فراس . وقد اتفق موسيقيو الشعر على أن (له نمطاً
واحداً يكون فيه الضرب دائماً " مستعلن " ذكر له البعض نمطاً
ثانياً ضربه : مفعولن) (١) .

ومن يتتبع هذه القصيدة يلاحظ أن الشاعر قام بتغيير التفعيلة
الثانية (الوسطى) التي هي (مفعولات) إلى (فاعلات) وقد لحقها
الحذف . وهذا الحذف يسر الكثير للشاعر من إظهار أحاسيسه التي
تمتلئ بالحسب والكآبة ، ومن خلال هذه القصيدة نلمس أيضاً التعبير
عن الدفقات الحارة التي كانت تختلج قلب أبي فراس ، وكأنها موجات
متتابعة ، أو أمواج داخل المحيط تتحرك بشدة وعنفوان ، فتسير
الموجة وراء الأخرى وهكذا نلمس دفقات الشاعر الحارة المتلاحقة .
كل ذلك يزيد من الجماليات الموسيقية ومن المنسرح قوله (٢) :

يا واسع الدار كيف توسعها ؟ ونحن في صخرة نُزلزلها
يا ناعم الثوب ! كيف تُبدلُهُ ؟ ثيابنا الصوف ما تُبدلُها
يا راكب الخيل ! لو بصُرت بنا نعمل أقيادنا وننقلها !

(١) موسيقى الشعر العربي دراسة فنية عروضية د . حسني عبد الجليل ص ٥٣ .

(٢) الديوان ص ٢٦٥ .

رَأَيْتَ فِي الضُّرِّ أَوْجَهَا كَرُمَتْ فإرق فيك الجمال أجملها !
قد أترّ الدهر في محاسنها تعرفها تارة وتجهلها

تلاحظ الإيقاعات الموسيقية وذلك من خلال :

يا واسع الدار - يا ناعم الثوب - يا راكب الخيل .

فإنها قطع موسيقية تطرب لها الأذن . ومما لا شك فيه أنك
تشعر بالقافية الهاء المتحركة بالفتحة إلى جانب ما في البيت الأول
من التصريح .

وأدعوك لتلاحظ الاشتقاق عند الشاعر والذي يزين الموسيقى
لديه (فيك الجمال أجملها) . فالمعنى حسن ، وكذلك المقصد
الموسيقي الطاعي في هذا البيت يزيد رونقاً وبهاء ومثله (يا
واسع ... توسعها) هذه الأدوات التي عبر بها الشاعر ما هي إلا
أدوات موسيقية قد لا يمتلكها الكثير من الشعراء فحسبهم جودة
السبك والمعنى ، ولكن الشاعر هنا يجمع المعاني بهذه الأدوات
الموسيقية التي تنفذ إلى القلوب والأذان . فأية رقة تلك التي وفرها
لنا أبي فراس الحمداني ، إنه يمتلك بحق روعة الموسيقى وحسن
توظيف أدواتها .

وبجانب ذلك نلاحظ في شعر أبي فراس تكثيف مصدر
الموسيقى الظاهرية أو الخارجية في شعره ، والتي يعد التصريح
من أهم ألوانها ، من ذلك قوله .

زمتي كله غضب وعُتْبُ وأنت عليّ والأيامُ إلْبُ

وقوله :

أسيفَ العدى وقريعَ العـربِ علام الجفـاء؟ وفيم الغضب!؟

وقوله :

ضلال ما رأيت من الضلال معاتبه الكريم على التـوال

كذلك تراه قد استخدم القوافي الملائمة للغرض الشعري ،
والتي تسير مع البحر العروضي الذي نسج على منواله طربه الجميل
الشجي ، كما وفر لنا مصدراً آخر للموسيقى هو الموسيقى الداخلية
التي نلمسها في التجاور بين الأصوات وتهامسها وجهرها وروعة
الحركات وسكناتها وما تحمله هذه المفردات من إحياءات ودلالات
تبوح بها بعض المفردات كما تلاحظ على سبيل المثال في (تقلقلها)
فهذه الكلمة تلعب دوراً كبيراً مؤثراً لتصوير انزعاج الأم على ابنها
مع الحيرة والاضطراب ، فهذه الكلمة أفرزت لنا العديد من المعاني
النفسية .

كذلك ما تلعبه كلمة (تزلزلها) حيث أفادت الكثير من تلك
المشاعر . بجانب حركات الحروف وسكناتها وغيرها من الكلمات
التي تحدث تلك الموسيقى المؤثرة ، فالشاعر يحاول مع ما يعانیه من
الآلام إثراء الجانب الموسيقي الفيض لشعره .

والجرس الموسيقي المتباين في الأبيات تراه من خلال

المفردات :

(يا واسع - تقولها - النزال - صاحبها - يا ناعم -
تبدله - نحمل - ننقلها) .

فلو تأملت هذه المفردات لرأيت شاعرنا قد تنقل من صوت
إلى آخر ، ومن الصمت إلى النغم الشجي ، ومن حركات إلى سكنات

وتلاحظ أيضاً مفردات القافية (تزلزلها - نبدلها - ننقلها -
أجملها - تجهلها) .

جاءت هذه المفردات في جملتها متباينة ، ولم تجلب أبداً
لأجل القافية بل تعدها الشاعر لينهي كل دقعه موسيقية من خلال كل
بيت بشيء لائق بالموسيقى العامة فأنت أمام سيمفونية متكاملة
الوحدات الموسيقية ، ومع أنك أمام شاعر واحد إلا أن السيمفونية
لا بد لها من عدد من الموسيقيين الذين يعزفونها.

أما عن قوافي الروميات فأغلبها كان من النمط المطلق
والموصول بالمد الذي يكشف عن امتداد الأتین ، واستطالة الأسى في
بلاد الغربية ، وخلف القضبان ، وهذا النمط من القوافي المطلقة ملائم
تماماً لأجواء تجارب الروميات .

سادساً : النزعة الدرامية

ومع أجمل الألحان يطر بنا أبو فراس الحمداني باللون
الدرامي الجميل الذي يظهر فيه جمال أشعاره وحيويتها البراقة مما
يشير - نفس المتلقي . كذلك أتى بالجديد والتجديد في شعرنا العربي

ومما أجاد وجدد فيه النزعة الدرامية الجميلة التي تثير
النفس البشرية ، كما رأينا في روميته التي مطلعها .
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

ويظل الشاعر عاقداً بينه وبين محبوبته حواراً درامياً أخذاً ، وهذا
الحوار يظهر من خلال المونولوج الخارجي يقول الشاعر (١) :

ألم تر أنني فيك صافحت حدها وفيك شربت الموت غير مصردٍ
يقولون (جنّب) إعادة ما عرفتها؟ شديد على الإنسان ما لم يعود
فقلت : أما والله لا قال قائل : شهدت له في الحرب الأمام مشهد
ولكن سألها ، فإما منية هي الظن ، أو بنين عز مؤطد

ففي هذا الحوار تظهر إمكانية الشاعر الحوارية ، وبرغم
وجوده في الأسر فهو يتحكم - كعادته وعادة الفرسان - في نفسيته
فأتى الحوار مشوقاً ليظهر عن نفس ثرية بكل أنواع العزة والأنفة .

(١) الديوان ص ٩٨ ، ٩٩ .

هذا الشكل الدرامي الجميل نلمسه كذلك في هذه الرائية التي

امتدح فيها قومه .. قال ابن خالوية (١) :

" قال لي أبو فراس : أيام أسلافي ومفاخر آبائي وأجدادي
أكثر من أن يجمعها شعري فقد اضطررت إلى ذكر الوقائع المشهورة
والعساكر الجامعة فلم أذكر من الوقائع إلا ما كان من قبائل بأسرها .
فلو عددت ما عددت العرب أمثاله مثل يوم رحرحان ويوم
فيف الرياح ويوم شعب جبلة لعددت ما لا تسعه الكتب فاقترت على
ما ذكرت والفضل مشترك .

ومن هذه التي يصل عدد أبياتها إلى خمس وعشرين ومئتين
، وقد بدأها بالغزل كعادة شعراء العربية في أربعين بيتاً ، ولما كانت
العامريات ذوات دلالة وجمال وجذب لشعراء وفتيان العرب كان غزل
أبي فراس في هذه العامرية . يقول الدكتور / مصطفى الشكعة :
(ويختارها من بني عامر لكي يضيفي على غزله لونها من

الأصالة ما عُرِف عن العامريات من كثرة العشق والهيام) (٢) .

ويجد أبو فراس في إظهار الدراما الشعرية ليرسم لنا صورة

بديعة من خلال فروسيته يقول أبو فراس (٣) :

أبيت مبرأ من كل عيب وأصبح سالماً من كل ذام
إذا ظفرت يداك ظفرت منه بلاناي العزاء ولا كهام

(١) السابق ص ١٢٤ .

(٢) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ١٧١ .

(٣) الديوان ص ٣١٩ .

تساء طيّبٌ لا خُلفَ فيه وآثار كآثار الغمام
وعلمُ فوارس الحيين أني قليل من يقوم لهم مقامي
وفي طلب الثناء مضى "بجير" وجداد بنفسه "كعبُ بنُ مام"
الأم على التعرُّض للمنايا ولي سمعُ أصمُّ عن الملام

فقد صور أبو فراس الحمداني فروسيته وأخلاقه الأبية بأنه
يبيت ليلة مبرأ من العيوب ويقوم في نهار بعيداً عن العيوب ويؤكد
بأن الفوارس تعلم علم اليقين أنه ليس هناك من يحل محله ولا يهتم
الشاعر بتعرضه لمنايا . فلا هو يخافها ولا يهابها وسمعه لا
يعرف ولا يسمع الملام . يقول :

(أبيت مبرأ من كل عيب)

فهو يعني بعده عن العيوب وخلو نفسه مما لا يليق بها وفي
قوله :

(الأم على التعرض للمنايا)

يظهر مدى شجاعته في الحروب لا يعرف الرهبة من المنايا
، ويلومه الناس على هذا الفعل فيدخل المعارك لا رهبة منها ، بل
كل الشجاعة والإقدام والتحدي فلا يخشى أبو فراس الموت أو
الخوف من عدوه ، وفي ذلك إظهار لروح الشجاعة النادرة .
وكتب أبو فراس وهو في الأسر إلى غلامين (صاف
ومنصور) (١) :

(١) الديوان ص ٢٢٥ .

يا خليلي بالشَّام أفيقا هل تُحسِّن لي رفيقاً رفيقا
 كثر الغدر والخيانة في النا سُ فما إن أرى صديقاً صدوقاً
 قلَّ أهلُ الوفاء واتَّبع النا س من الغدر والجفاء طريقاً
 لا رعى الله يا خليلي دهرأ فرقتُنا صرّوفه تفريقاً
 كنتُ مولا كما وما كنت إلا والداً مُحسِّناً وعمّاً شفيقاً
 فانكراني ! وكيف لا تنكراني ؟ كلما استخون الصديق الصديقا !

وقد أشرنا إلى رائيتة التي مطلعها .

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمـرُ

وهي القصيدة التي وصل فيها أبو فراس إلى جانب كبير من
 الزهو والفخر لأنه قد بلغه أن الروم قالت : ما أسرنا أحداً لم نسلب
 سلاحه غير أبي فراس . ويظهر هذا الشكل الدرامي عند شاعرنا في
 الأبيات الحوارية بينه وبين محبوبته حيث يقول :

تسألني من أنت ؟ وهي عليمه وهل بفتى مثلي على حاله نكرُ ؟
 فقلت كما شاعتُ وشاء لها الهوى قتيلك ! قالت أيهم ؟ فهم كثرُ
 فقلت لها لو شئت لم تتعنتي ولم تسألني عني وعندك بي خبرُ
 فقلت لقد أزرى بك الدهر بعدنا فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهرُ
 وما كان للأحزان لولاك مسلكُ إلى القلب لكن الهوى للبي جسرُ
 وتهلك بين الهزل والجد مهجة إذا ما عداها البينُ عذبتها الفكرُ
 فأيقنت أن لا عزَّ بعدي لعاشق وأن يدي مما علقت به صفرُ
 وقلبت أمري لا أرى لي راحة إذا همّ أسلاني ألح بي الهجرُ

والدور الدرامي الراقي الذي قام بطريقة حوارية رائعة بينه وبين محبوبته يدل على قوة شاعريته ، وجودة سبكه ، والدراما هنا أخذت الشكل بين اثنين، الشاعر ومحبوته . أما الشاعر ، فقد تحدث عن نفسه بأنه مقيم ومحب لها ، ويرى أنها سبب شقاوته . ومع شدة حبه لهذه الفتاة فإننا نراه قوي النفس متأثر بأسره وفراق محبوبته، وقد فعل به الأسر الأفاعيل ، أما هي فقد وصفها بأنها متعنتة متشددة ، كثير من الشباب يهوونها وهي غير عابئة بهم ، وأدار هذه اللغة الحوارية بطريقة مشوقة اعتمدت على الأشخاص والحدث والمكان والزمان ، فهي قصة رائعة تمثل الحب الذي يجمع بين حبيبين الشاعر ومحبوبته مع كثرة المحبين القتلئ بسبب جمالها وبعدها عنهم ، مع الوضع في الاعتبار أن الحبيبة هنا الحرية ، فهي رمز ومعنى ليس إلا .

ومما جاء من شعره على الشكل المونولوجي قوله (١) :

أروح القلب ببعض الهزل تجاهلاً مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل والمزح أحياناً جلاء العقول

فهذا المونولوج الجميل ينبع من قلب الشاعر يعبر فيه عن نفسه ومن نفسه .

ومن أجمل حواراته ونزعاته الدرامية ما جاء في إحدى الروميات التي استدعى فيها بعض عناصر الطبيعة الحية ليوشح إبداعه بذلك من جهة ، وليجسد معاني اللوعة والأسى والمرارة وتضخيم الإحساس بالفقد (ثم ما يعطف النفس صوب التذکر

(١) الديوان ص ٢٧٤ .

والالتهفات إلى الماضي فيكون الحنين والشوق ، لقد استدعى الحمامة ، هذا المخلوق الشجي المرح الذي طالما لعب بخيالات الشعراء القدامى فكان أبو فراس بذلك أوَّلَ من جسد بهذا الاستدعاء معاني الشوق والألفة والموودة والذكرى والحنين ^(١)) نراه يقول :

أقول ، وقد ناحت بقربي حمامة : أيا جارتا ، هل بات حالك حالي ؟
معاذ الهوى ! ما نقت طارقة النوى ، ولا خطرت منك الهموم بيالي !
أتحمل محزون الفؤاد قوادم على عُصن نائي المسافة عال ؟
أيا جارتا ، ما أنصف الدهر بيننا ! تعالي أقاسمك الهموم ، تعالي !
تعالي تري روحاً لدي ضعيفة ، تردد في جسم يعتب بال !
أضحك مأسور وتبكي طليقة ، ويسكت مخزون ، ويندب سأل ؟
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلعة ؛ ولكن دمعني في الحواث غال !

(١) أبحاث ومقالات في الأدب الأندلسي د . جميل عبد الغني محمد علي الطبعة الأولى

١٩٩٩م ، والديوان ص ٢٨٢

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف

المرسلين .. وبعد

فكانت هذه روميات أبي فراس الحمداني التي ضمها إلى شعره وحاولت - قدر استطاعتي - إظهار ما أمكن بيانه من هذا الكنز الشهير المعروف ، وقد رأيت في شعره القوة والجزالة وترويض الألفاظ التي قد تكون مستعصية في الشعر - كما أشرت إلى ذلك في حينه - وبينت أن شخصية أبي فراس الحمداني تتمتع بأشياء قد لا تتوافر مجتمعة عند شعراء آخرين شعراً وخلقاً من الجانب الشعري ، وتحدثت في حينه عن مدى قوة شاعريته ، وعن أخلاقه فهي أخلاق فارس يعرف معنى الفروسية ، يطلق الأسير لمجرد توصل زوجته أو أمه . ويأبى أن يدخل أسره ، وقد خلع ملابس الحرب . حقاً إنه الشاعر ذو الشاعرية المطبوعة وذو الأخلاق الأبية .

وقد تميزت رومياته - كما رأينا - بالذاتية ، والأنانية أحياناً - هذه الذاتية ظهرت في الروميات منذ مرحلة الطفولة وحتى آخر رمق في حياته ، أحداث عديدة ، وتجارب بطولية ، ومعارك بلا حدود

خاص حروبها منتصراً ظافراً ، معارك طاحنة ضد الرومان ، كما لا ننسى موت أبيه وهو في سن مبكرة ، وتربيته يتيماً ، ثم يعده عن أمه ، وموتها وهو بعيد يرسف في القيود وأغلال الأسر ، هذه العوامل والأحداث كلها قد تضافرت حتى أسهمت في النهاية في إضفاء هذا الطابع الذاتي الحزين والصادق على رومياته ، وقد عرضنا لذلك سابقاً فلا داعي للتكرار والإطالة .

المصادر والمراجع

- ١ (القرآن الكريم .
- ٢ (أبحاث ومقالات في الأدب الأندلسي د . جميل عبد الغني محمد
علي الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ٣ (أبو فراس الحمداني فتوة رومانسية خليل شرف الدين دار
الهلل بيروت .
- ٤ (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف : شمس
الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: د . عمر عبد السلام
دار الكتاب العربي لبنان ط ٢ ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ٥ (دراسات في الشعر العربي محمد إبراهيم أبو ستة دار المعارف
١٩٨٢م
- ٦ (ديوان أبي فراس شرح : د . خليل الدويهي دار الكتاب
العربي لبنان .
- ٧ (سيف الدولة الحمداني مصطفى الشكعة عالم الكتب بيروت
.
- ٨ (سير أعلام النبلاء تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان الذهبي تهذيب : الشيخ / خليل بن مأمون ومعه نوي
العلا بما لم يذكره الذهبي من النبلاء لتقي الدين محمد بن أحمد
الفاصي دار المعرفة بيروت ط (بدون) .
- ٩ (شعر أبي فراس دراسة فنية ماجدولين وجيه سيسيو ط ١
١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

- ١٠) الشعر الجاهلي قضايا فنية وموضوعية د . إبراهيم عبد الرحمن .
- ١١) شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ د . نصرت عبد الرحمن الأقصى عمان ط ١٣٩٧هـ / ١٩٩٧م .
- ١٢) الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد تحقيق : عبد السلام هارون الخانجي مصر .
- ١٣) الشوقيات دار الكتاب العربي بيروت .
- ١٤) العمدة في محاسن الشعر لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني دار الجيل لبنان ط ٤ ١٩٧٢م .
- ١٥) الفخر والحماسة دار المعارف مصر .
- ١٦) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين د . مصطفى الشكعة الأتجلو المصرية
- ١٧) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ت : علي اليحياوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط البابي الحلبي ط ٢ .
- ١٨) لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م
- ١٩) المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل دار المعرفة لبنان .
- ٢٠) المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ص ٤٩٦
- ٢١) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية مصر دار المعارف ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٢٢) المقدمة لابن خلدون دار البيان .

- (٢٣) من صحائف النقد الأدبي د . عبد الوارث الحداد .
- (٢٤) موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء د . زهير صبري دار الأصالة الرياض ١٩٨٢ م .
- (٢٥) موسيقى الشعر العربي د . إبراهيم أنيس دار المعارف مصر .
- (٢٦) موسيقى الشعر العربي دراسة فنية عروضية د . حسني عبد الجليل .
- (٢٧) موسوعة شعر العصر العباسي دار أسامة الأردن عمان ط ١ ٢٠٠١ م .
- (٢٨) النقد الأدبي أحمد أمين دار الكتاب العربي بيروت ط ١ ١٩٦٧ م .
- (٢٩) النقد الأدبي الحديث د . محمد غنيمي هلال دار نهضة مصر .
- (٣٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان إحصان عباس دار الثقافة بيروت ط ١ ١٩٧٧ م .
- (٣١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ط ٢ السعادة مصر